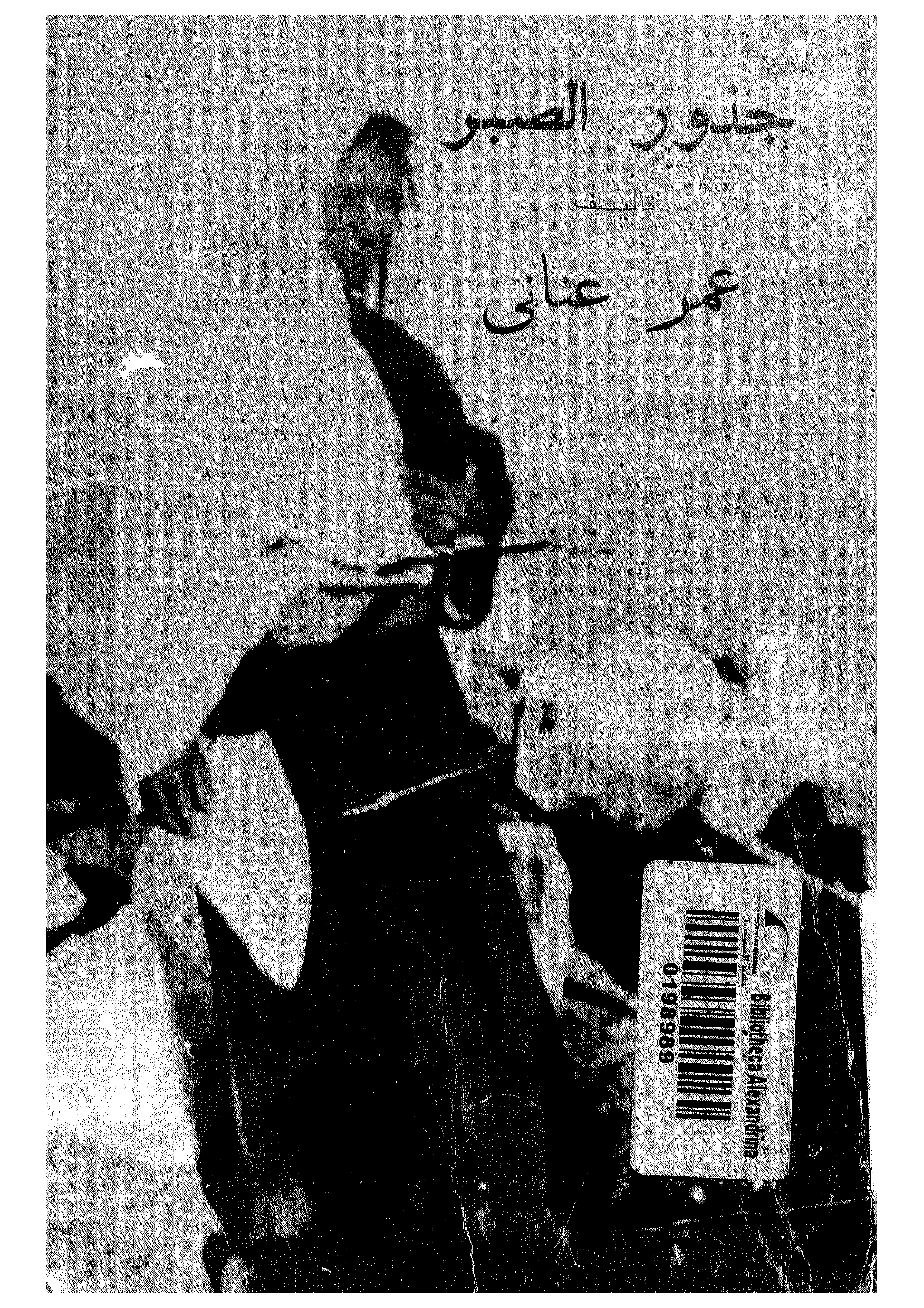

جذور الصبر
تأليف
عمر عنانى

بسم الله الرحمن الرحيم

يقولون لئن رجعنا الى المدينة ، ليخرجن الاعز منها الاذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون .

جهجاه بن مسعود من المهاجرين ، وسنان الجهني خزرجي انصاري ، اقتتلا على من يسقي فرسه قبل الاخر ، وهما في جيش رسول الله عليه الصلاة والسلام العائد بالنصر من غزوة بني المصطلق الى المدينة .

صاح الجهني يا معشر الانصار ، وصاح جهجاه يا معشر المهاجرين ، فاستغلها راس المنافقين عبد الله بن ابي بن ابي سلول وقال « لئن عدنا الى المدينة الخ » .

ويريد بالاعز هو وأتباعه من المنافقين ويقصد بالاذل الرسول وأصحابه من المهاجرين . ويخاف عبد الله بن عبد الله المؤمن أن يأمر رسول الله بقتل أبيه فيجري بينهما الحوار الاتي : يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبدالله بن ابي فيما بلغك عنه ، فان كنت لا بد فاعلا ، فمرني به ، فأنا أحمل اليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل ابر بوالده مني ، واني أخشى أن تأمر غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار .

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « بل نترفق به وتحسن صحبته ما بقي فينا »

وقف عبدالله بن عبدالله بن ابي على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء ابوه عبد الله بن ابي قال له ابنه : وراءك . فقال مالك : ويلك . فقال : والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان النبي عليه السلام يسير ساقة اي آخــر الجيش فشكا اليه عبد الله بن ابي ( ابنه ) فقال ابنه عبدالله والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : أما اذ اذن لك رسول الله فجز الان .

اهداءات متنوعة

DIFFERENT GIFTS

# جـــذور الصبـــر

تأليـف

عمـر عنـانى

مطبعة الشرق العربية

تلفـون ٨١١١٤٢ * ص.ب ١٩٥٠٨

القـــدس ـــ شعفـــاط

# الإهداء

**أهديك يا رسول الله كتابي لتكون شفيعي**

**يوم الحساب ان نسيت أو أخطأت**

**احبك يا رسول الله ...**

لان امك مثل الامهات تاكل القديد وتمشي في الاسواق
**احبك يا رسول الله ،**
لان عمك مثل الاعمام يدافع عنك كما يدافع الاعمام عن أبناء اخوتهم فيقول لك :

**والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا .**

**احبك يا رسول الله ،**
لان أحاسيسك مثل أحاسيس الناس ، فلم تطلب من ربك أن يحيي لك ابنك ابراهيم يوم قبضه الله ، لتكون لك كغيرك من الانبياء معجزة احياء الموتى ، بل انك بكيت مثل ما يبكي الناس ، وحزنت مثل ما يحزن الناس « أنا لمحزون عليك يا ابراهيم ، فالعين تدمع والقلب يحزن ولا نفعل ما يغضب الرب » .

**احبك يا رسول الله ،**
لانك مثل الناس اعتمدت في واقعة الخندق على الصبر وشد الاحزمة علي البطون ولم تعتمد على مائدة تنزل عليك من السماء .

**أحبـــك يا رسول اللـــه ،**

والثم ثرى أحد الذي سقاه دمك الطهور ، وأضاءت سماءه ثناياك المتساقطة على أرض المعركة ، وانت والله أكرم خلق الله على الله .

روحي فداؤك يا رسول الله ، ما أعظمك وأشمخ قمتك وانت تقف في حنين كالطود الشامخ ، لا تزعزعك الانواء ، ولا تهزك الاعاصير ، فبثباتك وايمانك وشجاعتك ، حولت الهزيمة الى نصـــر وقد انفض الابطال من حولك .

أحبـــك يا رسول اللـــه ،

لانك علمتنا كيف تكون حلاوة العفو عند المقدرة « اذهبوا فأنتم الطلقـــاء » .

من منا يا رسول الله ، لا يمتزج حبك بدمه ولحمه وعظمه وهو يراك تقول لعمك ، وانت لا حول لك ولا طول ، فحلا تهدر لا يقرع لك أنف ولا يخيفك التهديد والوعيد : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري » ...

أحبك يا رسول الله ، واتحرق شوقا للقياك ،

لانك وانت في عليائك صاعد الى السماء هابط من عند العرش ، مكلل رأسك بأكاليل النصر تجمع الحطب لاصحابك لينضجوا به طعامهم .

أحبك يا رسول الله ، واتقرب منك ،

لان التقرب منك لا يكون بالحسب والنسب والمال والجاه فانت جد كل تقي ولو كان عبدا حبشيا ، وانت خصم كل شرير ، ولو كان عمك أبا لهب .

يا رسول الله ،

أدع لنا ربك لينفث فينا من روحك ويهب لنا من عزيمتك ويجمع شملنا على دينك ..

**يا خير من دفنت بالقاع أعظمه روحي الفداء لقبر انت تسكنه**

كيف لا نحبك يا رسول الله وانت اكبر من كل عظيم ..
واعظم من كل ملك تأبى على أصحابك أن يحملوا عنك حاجتك ..

**عمـــر عناني**

# المقـــدمة

ان هذه اللقطات تعبير عفوي صادق يصور واقــع الربوع التي تناولتها بكل مــا في هذا الواقع من ملامح وبصمات وما فيه مـــن خـير وشــر .

ولعل حرصي على نقاء الصورة هـــو الذي دفعني الى اعتبار نفسي جزءا من ذلك الواقع فلم أحـاول التستر حتى على خلجات النفس بكل ما فيها من قوة يعتز بها او ضعف يخجل الانسان منه .

ان هذه الصور الانسانية الحية ، أرجو أن تؤخذ بالروح التي أملتها في اطـــار الواقع زمانا ومكانا . وهي ليست مذكرات يسجلها صاحبها ليدل بها على الناس أو ليدافع بها عـــن مواقفه أو مواقف الاخرين وانما هي لوحة التقطتها أثناء مروري بشارع الحياة . وارجو مخلصا ان تثير في نفس القارىء ما اثارته في نفسي من ايمان بالحقيقة القائلة ان أول عمل مخلص هادف لاصلاح الواقع هو معرفة الواقع بكل ما في هـــذا الواقع من مضحكات ومبكيات وبعدها الانتقال من هذا الواقع الى واقع جديد أفضل لحمته وسداه العناصر البشرية التي شكلت الواقع القديم لتلعب دورها التاريخي في الواقع الجديد والواقع المرير الذي نعيش فيه .

# الراقصة على السيف

## قصة من اعماق الريف الفلسطيني

حدثت هذه القصة خلال سني الحرب العالمية الاولى وذلك في قرية جبلية قائمة على أعلى قمة في فلسطين وكانت بيوتها مبنية من الجير والحجر ، وكل دار منها مكونة من غرفة واحدة كبيرة طولها عشرة أمتار وعرضها خمسة ، وارتفاعها ما بين خمسة أمتار الى ستة وعلى ارتفاع مترين أو ثلاثة من أرض البناء كان يقسم البناء الى قسمين وهذا الفاصل يسمى « المصطبة » التي يقيم فوقها أهل الدار ، ويقيم في الإسفل منها ، وهو ما يسمى قاع البيت ( الراوية ) الانعام التي يملكها الفلاح من جمال وغنم وبقر وغيرها ويتصل القسم العلوي بالقسم السفلي ، وقد يتكاثر أولاد صاحب الدار ، فتقسم الدار الواحدة الى عدة اقسام لكل ولد من الاولاد الكبار المتزوجين قسم منها . وتبنى هذه الدور متلاصقة على أشكال مختلفة بعضها مستطيل وبعضها مستدير وبعضها مربع وعلى دائر هذا الشكل تصف الدور متلاصقة ويكون بينها فسحة كبيرة تسمى بالحوش ، وكل حوش مختص بعائلة وبين هذه الاحواش أزقة ضيقة ، تصلها بعضها ببعض ويسمى كل حوش باسم كبير العائلة المؤسس .

كانت تحكم فلسطين في هذا الوقت الدولة الاسلامية العلية العثمانية التركية ، وكان من حقها أن تجند جميع الرعايا المسلمين في امبراطوريتها المترامية الاطراف في أوروبا وآسيا وافريقيا ثم شاخت هذه الدولة العظمى في أواخر أيامها وذلك لكثرة الحروب التي شنتها أو حرضت عليها الدول المسيحية الاوروبية ، وصاروا يسمونها « الرجل المريض » .

وفي آخر الحروب التي خاضتها هذه الدولة كانت الحرب العالمية الكبرى الاولى وقد انضمت فيها الدولة العثمانية الى المانيا وهزمت

بنتيجتها المانيا وحليفتها تركيا ، وانتصر الحلفاء واقتسم هؤلاء الحلفاء الامبراطورية العثمانية .

وقد كان أبطال هذه القصة يعيشون في حوش من هذه الاحواش وهما عائلتان من اخوين يسكنان في دارين متقابلتين أما أحد الاخوين فيسمى « أحمد » والاخر يسمى « حمدان » . وقد خلف احمد ولدا سماه « حسينا » وبنتا سماها « صفية » وخلف حمدان ولدا سماه « ابراهيم » وبنتا سماها « فاطمة » .

أما ابراهيم فقد أعفي من الخدمة العسكرية بسبب شلل أصابه في السلسلة الفقرية حيث تقوس ظهره وصار طوقا غير متصل الطرفين، ولذلك اختص برعي الغنم ، وكانت النساء تعزف عن الزواج منه .

أما شقيقة ابراهيم « فاطمة » فقد آتاها الله من الجمال ما لـم يؤته في القرية احدا . قامة مديدة ، وجسم ملفوف ، صاغته رياضة العمل في الحقل وعينان زرقاوان ليس لهما مثيل لا في قريتها ولا في القـرى المجاورة لها ، تغطيهما اهداب وحاجبان جميلان ، وجبينها ابيض ناصع فيه اشراقة وبسمة ، والانف فيه رقة وشمم قائم بين خدين عطرهما هواء الجبل ، وحمرتهما شمس الاصيل ، وفم تشع منه البسمة الحلوة بشفتين رقيقتين قرمزيتين تشكلان طبقا قرمزيا في وسطه عقد مـن اللؤلؤ . وجيدها جيد غـزال من مرمر مصقول ، ترى الماء من خلاله اذا جرى الى جوفها . أما أحمد فكان ضخم الهامة ، غليظ الرقبة ، تحت أنفه الضخم شاربان غليظان . وحسين احمد كان أشهر عازف ناي في القرية وقائد فرقة الدبكة . أما صفية أحمد فاشهر ضاربة طبل وقائدة فرق الغناء في الاعراس .

تقدم « حسين » عازف الناي لخطبة ابنة عمه « فاطمة » وفجأة، وقبل أن يتم أي شيء أعلنت الحرب العظمى الاولى واشتركت فيها الدولة العثمانية الى جانب المانيا ، وجند فيها حسين عازف الناي وخاض غمار الحرب في جبهات متعددة . غير انه وان كان جنديا من جنود الحرب ، الا انه ليس معنيا بها ولا بمصيرها ، كما انه لا يهمه اذا انتصرت الحكومة التي يقاتل تحت علمها أو الحكومة التي يقاتلها ،

كل الذي يهم حسين أن تنتهي هذه الحرب اللعينة ، وتنتهي معها ويلاتها ، ليتزوج ابنة عمه « فاطمة » .

لكن هذه الحرب طالت وطالت ، حتى لم يكن هناك أية بادرة تدل على أنها ستنتهي ، وفيما كان الناس في انتظار أن تضيق حلقاتها ، وتنحسر ميادينها ، طلبت الحكومة التركية متطوعين من جنودها ليذهبوا ويغلقوا قناة السويس في وجه الملاحة البريطانية ، وقدم عازف الناي نفسه مع هذه الفرقة المتطوعة ، وقبل بالمجازفة بروحه في مقابل نظرة يلقيها على محبوبته « فاطمة » أثناء مروره في الطريق ، ذلك أن طريقه من معسكره في حلب تمر من وسط قريته ، فهو لا يبالي بعد أن تكتحل عيناه برؤية الحبيب أرجع من قناة السويس سالما ؟ أم ثوى قتيلا تحت مجرى مياه قناة السويس الزرقاء طعاما للاسماك ، وحمل على ظهره أربع تنكات فارغة كغيره من المتطوعين ليملأوها رملا ويلقوها في قعر القناة ويغلقوها .

وخرج كل أهل القرية — وكلهم من النساء والاطفال والشيوخ — أما الرجال جميعهم فمصيرهم كمصير عازف الناي مجندون في جبهات القتال المختلفة ، خرجوا يتفرجون على الجيش التركي ، الذي جاء من أقصى الشمال من استانبول والاناضول مشيا على أقدامهم يحملون عتادهم الحربي وسلاحهم وطعامهم وماءهم مع أربع تنكات فارغة لكي يلقوا بها في قناة السويس بعد أن يملأوها بالرمل وطعام كل واحد منهم كزماطه ( رغيف ناشف ) في كل أربع وعشرين ساعة .

خرج الناس يتفرجون على هذا الجيش المنهك المتعب ، وكان من بين الناس المتفرجين أهل عازف الناي وغزال القرية النافر ابنة عمه « فاطمة » فلما رأوا عازف الناي بعد ذلك الدلال وذلك الرواء والجمال يمشي متهالكا من التعب يثقل كاهله ما حمله من العتاد والسلاح ، ويخفي صوته عن سامعيه الذين ساروا بجانب الجيش ، يتهللون ويزغردون له اذ كان يحول دون سماعهم صوته واضحا ، ذلك الصوت المنبعث من آلاف التنكات الفارغة يضرب بعضها بعضا في أثناء سير الجنود ، وبكت فاطمة وبكى جميع الاهل على عازف الناي للحال التي آل اليها .

سار عازف الناي ثلاثة أيام ، بعد أن رأى فاطمة فلم تغب عن

ناظريه لا في صحو ولا في منام فقرر الفرار من الجيش والعودة الى المحبوبة ، فهو مقتول على كلتا الحالتين ، مقتول ان ذهب الى القناة في معركة القناة ، وهو مقتول ان عاد الى القرية بسبب فراره من الخدمـــــة .

وقال حسين : إذا كان لا بد من الموت فليكن بقرب الحبيب لأحظى بدمعة تذرفها على جثتي حين أموت .

وفي منتصف الليل ، نام الجنود كالقتلى من التعب ، فخرج مـــن بينهم ليقضي حاجته ولكنه عاد الى القرية التي لم يجدها كما تركها يوم خرج منها . كانت مخازنها مملوءة بالحبوب فوجدها فارغة ، لان الجيش التركي استولى على الحبوب ليطعم الجنود ، كما استولى على الخيل والبغال والحمير بقانون عسكري يسمى قانون « السخرة » .

وفي آخر فصل الخريف هبت على القرية ريح عاتية عاصفة تسوق في طياتها أمواجا متلاحقة لها وحي يصم الاذان ، فموجة فيها حبة البرد كبيضة الحمام ، أدمت الرؤوس وشرمت الاذان ، وبعدها موجة من حبات البرد الصغيرة ، مع قصف هائل من رعد يصم الاذان ، وبرق يخطف الابصار حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت . وبالرغم من كل هذا ، الا أنه كان لهذه السحابة فضل عظيم على سكان القرية لانهم منذ رحل أبناؤهم مجندين في خدمة العلم التركي لم يفلحوا أرضا ولم يزرعــوا زرعـــا .

... وهكذا وصل عازف الناي الى القرية فارا من الجيش ، ولكن أين سيختبيء .. فجنود الجندرمة التركية تحاصر البيت ليلا ونهارا ، تبحث عنه وهؤلاء الجندرمة استمرأوا الحياة في بيت عازف الناي ، لان ابراهيم حمدان لم يجند في خدمة العلم بسبب تقوس ظهره ، وظل يرعى غنمه حتى كثر عددها ، فكانوا يذبحون كل يوم من جدائها ثلاثة وكفوا عن مطاردة الفارين الاخرين لانـــه ليس في بيوتهم جداء ولا مـــاء .

وزاد في الطين بلة ، أن المختار كان — بعد أن ينصرف الجندرمة — يرسل عسسه ، على كل البيوت يتعقبون الفارين ، فاذا ما علم بوجود احد منهم ظل الليل بطوله في زمهرير الشتاء ، ينظر من ثقوب الباب

ويتعسعس أخباره حتى يمسك به ، ولا يطلق سبيله حتى ينال منه — جعلا — في كل أسبوع أو يسلمه الى الجندرمة ، ليعلق على أعواد المشانق لقاء مجيدي — تركي عن كل فار يسلمه .

وفي هذه الظروف العصيبة قرر عازف الناي أن يتزوج ابنة عمه فاطمة ليطفىء نار الحب الذي يتأجج في فؤاده ولكن الريح سارت بما لم تشته السفن .. ففي هذه الاثناء هجم الطاعون على القرية وجعل يحصدهم بالعشرات ، ففتحوا في القرية بئرا كبيرة ، كانوا يبقرون بطن المتوفي فيحشونه بالكلس ويلقون به في البئر . وضاقت الارض بما رحبت في عيني عازف الناي وقد رأى الموت يلاحقه من حيث ما يتلفت ، فأسرع الى عمه يستعجله في زواج ابنته فاطمة ، فقال عمه : أمجنون أنت ؟! يا ابن أخي تطلب الزواج ، وباب البئر مفتوحة لا ندري متى يكون دورنا ليلقى بنا في جوفه .. وأسقط في يده وتمنى لو أنه بقى في الجندية أفضل من الحالة التي هو فيها . وظل يتنقل من كهف الى كهف ، ومن مغارة الى مغارة من كهوف ومغر القرية ، مختبئا من مطارديه من عساكر الجندرمة وعسس المختار .

وكانت أخته — صفية — تنقل له الطعام والشراب في مخبئه حين تذهب لتحتطب من الغابة في غفلة من الجنود وعسس المختار .

واستيقظ الناس في صبيحة أحد الايام على ارجال الجراد الغازية ، التي التهمت الاخضر واليابس وأتت على كروم العنب والتين والفاكهة ، وقد اصبحت المصدر الوحيد لطعام وغذاء سكان القرية من العنب والتين والزبيب والقطين والعنطبيخ والدبس واضطر الناس حين عضهم الجوع ان يأكلوا لحوم القطائس ويتعقبوا خيل الحكومة وبغالها ليستخلصوا حبات الشعير من روثها وبرازها .

وعندها ضاقت الارض على عازف الناي ، وقرر الفرار الى الكرك ليستنشق نسيم الحرية وليخرج من بطن الارض في المغاور والكهوف ، وليهدأ قلبه من الخفقان بعد أن صار بعيدا عن عسس المختار وعسكر الجندرمة ، واشتغل راعيا عند أحد الشيوخ وظل طيلة مدة رعيه للغنم — صامتاً لا يتكلم شارد الفكر .. ساهما يلعن الظروف القاسية التي

ابعدته عن حبيبته ، الى أن انتهت الحرب العالمية الاولى واعلنت الهدنـــة .

وقرر العودة الى القرية فلما وصل قامت الافراح والليالي الملاح ، لانه عندما ذهب لم يخبر أحدا فظنوا أنه مات وان الوحوش قد أكلته .

وبعد الاحتفال بقدومه ذهب يستعجل عمه في الزواج من ابنته ، قائلا له : يا عماه .. أنت تعلم بالعذاب الذي تحملته من أجل زواجي من ابنة عمي فاطمة والان لحق لي بعد طول العذاب ان أنعم بالهدوء والراحـــة .

العم : يا ابن اخي ، أعلم أنه لا أحد في الوجود أعز علي منك بعد اولادي ، وابنتي لن تجد في شباب القرية وفتيانها من يليق بها أكثر منك ، ولكن فاطمة هي ملك لاخيها ابراهيم يبدل بها عروسا بعروس ، وعندك البديلة تعطينا اختك صفية زوجة لابني ابراهيم ونعطيك فاطمة بديلة لها زوجة لك .

حسين : يا عماه .. انك بهذه المقالة قد طعنتني في صدري بخنجر الغدر فوالله ما في الناس جميعا ـــ غير فاطمة ـــ من هو أحب على قلبي منه ، وأنت أدرى الناس يا عماه أن ابنك ابراهيم لا يصلح زوجا لا لأختي صفية ولا لغيرها من النساء كما انك تعلم علم اليقين انها لو التقت السماء بالارض فلن تقبل صفية الزواج من ابنك ابراهيم فهل معنى ذلك انك ترفض زواجي من ابنة عمي ...

العم : ان كل ما قلته يا ابن أخي صحيح فلن يجد ابني ابراهيم في القرية فتاة تقبل بالزواج منه ، وأحق الناس باحتماله والصبر عليه هي ابنة عمه ، وفي الامثال : ـــ ابنة العم حمالة الجفاء ـــ ، واعلم أن النقص الذي في ابراهيم تكمله الزيادة التي عند اخته فاطمة .

حسين : أنت تعلم يا عماه انني لا أملك أن اغصب أختي صفية على الزواج من ابنك ابراهيم ، وديننا لا يأمرنا بذلك .

العم : أنسيت يا حسين أن ابني ابراهيم صاحب فضل على الجميع منا فلولاه رعى غنمنا ونماها وهي التي سترتنا وابقت علينا في هذه البـــلاد ، ولم يكن بامكانك ولا بامكان غيرك مـــن الفارين من الخدمة العسكرية ان يظهروا على وجه الارض ولو ظهروا لعلقوا في الساحات

العامة على أعواد المشانق أسوة بغيرهم ممن سبقوهم من الشهداء العرب الذين ساقهم الى المقصلة الجزارون جمال باشا وانور باشا التركيان .

حسين : انا لا أنكر فضل ابن عمي علينا جميعا ، ولكن ليس كل ما تطلبه المرأة من الزوج طعاما وشرابا بل ان هناك أمورا تطلبها الزوجة من الزوج بالاضافة الى الطعام والشراب .

العم : لا تنس يا حسين أن الجوع كافر ، وأن كثيرات من كرائم النساء حين عضهن الجوع وعض أولادهن اضطررن أن يبعن أعراضهن بلقمة خبز ، وويلات الحروب ومصائبها لا تصيب قوما عن قوم بل هي تلفح بنارها كل من يشتركون فيها سواء منهم الغالب أو المغلوب .

حسين : أنت تعيرني أنه لولا ابنك لباعت أختي شرفها في الحرب ؟! .. يا عماه أن أختي من الحرائر وقد تجوع الحرة وتموت ولا تأكل بثدييها . وهذا شيء والحب والزواج شيء آخر ، وهل كانت امرأة العزيز جائعة حين راودت فتاها يوسف عن نفسه ؟! ..

العم : يا ابن أخي ، لقد جادلتني فأكثرت جدالي ، هي صفقة واحدة : أنت وأختك صفية في كفة ميزان وابراهيم وأخته في كفة ميزان .. فان قبلت بهذا الشرط فأهلا وسهلا بك ، وان ابيت فمصحوبا بالسلامة .

حسين : ولكن ابنة عمي تحبني ولا يمكن أن تتزوج من غيري .

العم : نحن لا نأكل ولا نشرب من الحب ، واذا كان الحب هو الفائدة ورأس المال ، فلم جئت تسألني فيها فتزوجها .

... واذ رأى حسين من اصرار عمه ما رأى اتجه الى شقيقته صفية ...

حسين : يا أختاه .. أنا اعلم انك لا تحبين ابن عمك ابراهيم ، وانك صاحبة حق في رفضك الزواج منه ، فهو ليس بكفء لك من ناحية تركيبه الجسمي ، وقد رفض عمي كل قول ، وأشاح بوجهه عن كل عرض قدمناه ، ولم أترك في القرية ولا في خارجها رجالا من ذوي الجاه

والمنزلة ، الا وسقتهم عليه كي يعفيني من شرطه المقايضة بك بابنة عمي فاطمة ولكنه ظل كالصخرة الصماء يرفض كل شيء الا ان تكون فاطمة بديلة لك ، وانت اعلم الناس بمبلغ حبي لفاطمة ، وانها بالنسبة لي الهواء الذي استنشقه والطعام الذي آكله والشراب الذي اشربه ، وبدون فاطمة فانك ستعدمين اخاك حسينا فهل اطمع من أختي أن تضحي بنفسها في سبيل أخيها ؟! .

صفية : ايه يا حسين .. لقد علمت انه ليس فيمن خلقه الله ولا فيمن سيخلقه من هو احب على قلبي منك وانت تطلب مني ان أضحي بنفسي من اجلك فها هي روحي بين يديك فهيا فاقبضها ، وأنا والله اقدمها لك راضية مرضية . أما الخيار الثاني وهو زواجي من ابن عمي ابراهيم ، فالاولى والله عندي افضل من الثانية ، الاولى ميتة واحدة تقبض فيها روحي وأستريح أما الثانية فهي في كل يوم وليلة اقضيها معه أموت فيها الف ميتة وميتة ،، فاختر لنفسك — والامر بين يديك — أية ميتة تختارها لي ؟

حسين يبكي وينتحب امام اخته .. كفى كفى يا أختي .. لقد مزقت نياط قلبي ، فانا ما دام في جسمي عرق ينبض لا املك الصبر عن فاطمة فاما حياة بقرب فاطمة ، واما ممات في بعدي عنها .

صفية : هون عليك يا أخي ، فان في القرية من تماثل فاطمة حسنا وخلقا ، وما في القرية من فتاة ترفض الزواج منك ، فلعل الله يغير ما في نفسك ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

حسين : سأعود راعيا الى الكرك ، فلعل الله ينسيني حب فاطمة.

وعاد حسين الى الكرك ، وعمل راعيا هناك ، وظل ليله ونهاره يشاغل نفسه عله ينسى حب فاطمة ، ولكن نار الحب زادت اشتعالا .

وبعد شهر من التقلي على نار الحب تذكر قول البدوية في حبيبها :

**فلــو ان مــا القى ومـــا بـي مــن الهــوى**
**بـــارعـــــن ركنـــــاه صفـــــا وحـــديـــــد**
**تقطـــــــر مـــــن وجـــد وذاب حـــديــــده**
**وأمســـى تـــــراه العـين وهـــو عميـــد**

ثلاثـــون يومـــا كـــل يـــوم وليلـــة
أمـــوت وأحيـــا ان ذا لشـــديـــد

مسافـــة ارض الشـــام ويحـــك قربـــي
الينـــا ابـــن جـــواب أريـــد يـــزيـــدُ

فحركته هذه الابيات ، وهزت مشاعره . وكان مع الغنم في البطين فتركها مع غلام قطروس ، وحمل عصاه على كاهله وتوجه نحو الغرب الى فلسطين الحبيبة ، التي تحتوي بين أحضانها فاطمة الحبيبة .

وعاد الى عمه يطلب يد ابنته قاتلا أو مقتولا فلم يبق بعد اليوم في قوس الصبر منزع ، فلما وقف بين يدي عمه يعيد عليه القول الذي قاله بالامس ، نهره عمه وزجره زجرا شديدا ، وقال له : مثلك لا يعطى بنات ، فالرجل الذي لا يحكم على أخته على الزواج من ابن عمها ليس برجـــل .

ورد عليه حسين قائلا : أنت عمها وأكثر سلطة مني عليها ، وأنا قد تخليت عنها ، فها هي بين يديك فافعل بها ما شئت .

قال العم : دع الامر لي وسترى غدا ما يكون مني ، وفي الصباح احضر المأذون فعقد نكاح فاطمة على حسين بوكالة أبيها عنها ، وعقد نكاح صفية على ابراهيم بوكالة أخيها عنها ، دون علم منها ولا خبر ، وبدأ الطبل والمزمار ، وتبادل المغنون الاناشيد والاشعار ، وظل السامر عامرا حتى طلع النهار ، وصفية في مجلسها مشدوهة لا تدري ما الذي يدور حولها وجاءها عمها ومعه أربعة شباب أشداء وساقوها الى بيت الزوجية كما يساق المحكوم عليه بالاعدام الى خشبة المشنقة ثم أدخلوها دار العرس وسلموا ابراهيم عصا وسيفا وقالوا له :

هذه هي العصا بيمينك وهذا هو السيف في يسارك ، فان أطاعتك فيما أمرها الله من طاعتك بتمكينك من نفسها وقضاء وطرك منها فقد انجت نفسها وان أبت الا العصيان والمناكفة فاضربها بيمينك بالعصا ، فان ظلت بعد هذا سادرة في عصيانها فدونكها بالسيف حتى تقطعها اربا اربا ، واغلقوا الباب خلفهم وظلوا خلفه يتصنتون .

ابراهيم : انا ابن عمك يا صفية وانا احق الناس بك ، فلماذا يا صفية تنفرين مني وتتكبرين علي ؟

صفية : أنت ابن عمي ، وانا لا انفر منك ولا اتكبر عليك وحبي اليك حب من نوع آخر ، أنا أحبك حبي لأخي حسين ، وأنا لا أحبك أن تكون زوجا لي لأني لا اقدر ان اتحكم في هوى نفسي .

ابراهيم : قد تكرهينني اليوم ، ولكن ما يدريك فلعل هذا أن ينقلب الى حب من طول العشرة .

صفية : لقد عشت معك وانا في اللفاع ولم اغب عنك يوما ، ولم أفترق عنك ساعة وقد قاسمتك كسرة الخبز وشربة الماء ، وقاسيت معك مر الحياة ونعمت معك بحلوها ، وأنا منذ صحوت على نفسي وعرفت معاني الكلام وانا لا أسمع من اهلك كما لا أسمع من اهلي وكذلك من الناس جميعا الا ان صفية هي خطيبة ابراهيم ، وان ابراهيم عريس صفية ، ولما كنت طفلة غريرة لا افهم معنى لهذا القول كنت أفرح بـه واسر لسماعه ، وكنت اركب على ظهرك ، وارتمي في احضانك حتى كبرت وفهمت معنى هذا القول فصرت أجفل حين أسمع هذه الكلمة من احد . وأمسك بأطواق من يرددها على مسامعي ، حتى صارت هـذه الكلمة السلاح الذي يغيظني بترديده من يريد اغاظتي . وهل يرضيك أن تعيش طوال حياتك منغصا مع زوجة لا تكن لك الا ما ذكرت لك من البغض والكراهية ؟

ابراهيم : هذا كلام قد مضى وقته ، وأنت الان زوجتي احببتني أم كرهتني ، فما علي إلا أن اقول وما عليك الا أن تطيعي .

صفية : سأطيعك فيما تطلب من حاجات ، سواء كان ذلك في مطعمك أو مشربك وكل حق يريده الرجل من المرأة الا حاجة واحدة وهي أن تقضي مني وطرا ، وهذا لن تناله مني وأنا على قيد الحياة فان مت فافعلوا بي ما تشاؤون ..

ابراهيم : قد علمت انني لا اريد منك لا طعاما ولا شرابا ، والذي اريده منك ما يريده كل رجل من امرأة .. فان اطعتني فيما فرضه الله

لي عليك كنت عيني التي أبصر بها ، وفؤادي الذي أهوى به وان أبيت وركبت راسك فضربا بالعصا ، حتى تكسر أضلعك وتهشم هامتك وأنال منك كلما أريد حتى ولو فقدت الحياة .

صفية : مسكين انت ومن علمك أنك لو قطعتني اربا ، لولت كل قطعة من جسمي منك هربا فهلا أرحت نفسك من عناء ليس لك والله من ورائه طائل ؟

واستمر الذين وقفوا خلف الباب في استنهاض همة ابراهيم لكسر شوكة التحدي عند صفية . يا ابراهيم لد قتلنا البرد فهيا وعجل .. ويستمر ابراهيم في محاولاته ، لينزع الراية الحمراء من بكارة صفية .. هيا انزعي عنك ثيابك يا ابنة الفاجرة وتقدمي نحوي .

لن أنزع ثيابي ولن اتقدم نحوك ، ولن تنال مني شعرة ما دام في عرق ينبض ، وعندها هوى ابراهيم على أم رأسها بالعصا ، فشج جبينها ، وتصبب منه الدم ، وعندها ركلته برجلها ركلة جعلته يتدحرج على المصطبة ، فصرخ صرخة الم . وعندها دخل أبوه حمدان والشباب البيت ، ونزعوا عن صفية ثيابها وحاولوا تمكين ابراهيم منها ولكن ابراهيم ظل قابعا في عثرته . قال حمدان سنوثقها لك يا ابراهيم بحيث لا تستطيع حراكا واياك ان تتركها حتى تتمكن منها . جعلوا ينتظرون ابراهيم خلف الباب ، حتى يعلن النصر على صفية . عاود ابراهيم المحاولة المرة تلو المرة وأخيرا عجز عن فتح الحصن ، وركلته مرة ثانية فتدحرج الى أسفل البيت . ولم يسمعوا من الخارج الا اللهاث والحشرجات ، فظنوه لهاثا بعد المعركة وفتح القلعة . فنادوه يا ابراهيم يا ابراهيم . ولكن ابراهيم لا يرد . قال أبوه حمدان : انه غارق في نشوة الانتصار فهو لا يرد . وهم لا يدرون أنها حشرجة المشرف على حافة الموت ، ولما طال عليه النداء وانقطع منه الرد ، دخلوا عليه فلما وجدوه على الحال التي هو عليها ، أخذ أبوه السيف الذي تعثر الى جانبه وقال : يا خاسرة ، هلا تزالين سادرة في غيك ، ممعنة في عنادك ، وقبل أن تقتلي ابني ساقتلك ، ولن يطالبني أحد في دمك ، وهوى عليها وهي مكبلة بالقيود ولا تستطيع المقاومة ، ولا تستطيع الهرب . وضربها ضربة بالسيف على كل عضد من اعضائها الاربع .

أما صفية فجعلت تصرخ وتقهقه وتقول « اضرب يا عماه ، اضرب يا عماه ، واللـــه ان الف قتلة وقتلة لأهـــون علي من أن أتزوج ابنك ابراهيـــم » .

وبينما كانت صفية مع ابراهيم تقاسي من ركل بالارجل ، ووثاق بالحبال ، وضرب بالسيف ، كان أخوها حسين مـــع عروسه فاطمة يتساقيان رحيق القبلات ، ويسكران في غمرة العناق ، ويذوبان فـــي نشوة التلاقي الحلال ، في مغارة في ركن قصي من الغابة ، يتناجيان بأعذب الالحان التي تعزفها الطيور ، ويستنشقان روائح النسيم العليل، المعطر بروائح الازهار ، بعد أن يداعب أغصان الاشجار .

ولم يفق حسين من هذا البحر الغامر من السرور الا بعد اسبوع ، حيث عاد الى القرية ليأخذ حاجته من الطعام وليطمئن على أخته صفية.

وعندما دخل على اخته صفية ، لم يجد انسانة ، بل وجد جثـــة هامدة ، وليس هناك ما يدل على أنها على قيد الحياة الا نفس خافت واهن ، يخرج من جوفها متعثرا في حنجرتها تضمد ساعديها وساقيها لفائف الجبائر ، فهاله الامر ونادى يا عماه :

فجاءه عمه : قال حسين : « يا عماه ، أهذا زواج وحب ، أم هو قتل ومثله ؟ » . فرد عليه عمه « يا سبحان الله ، أتريد ان نعطيك ابنتنا تنعم بقربها ، وتعطينا أختك نصطلي بجحيمها ؟ »

يا عماه « ان عملكم هذا مخالف للدين ، بعيـــد عن كل شعور بالانسانية ، أليس في قلوبكم رحمة ؟ »

قال العم حمدان : « هذه اختك قد عادت اليك فاعد الينا ابنتنا كما أعدنا اليك أختك »

قال ابراهيم : « تريدونني ان أعيد اليكم ابنتكم مقطعة الاوصـال ، كومة مهشمة من اللحم والعظم ، فهل تظنون انني وحش مثلكم ، اذا قطعت أوصال فاطمة فكأنما قطعت أوصال نفسي وهل يقطـــع الانسان نفسه ، ان بدني ليقشعر حين افكر بفعلتكم الشنعاء ، واذا فعلتها فلا رفعت سيفي الى يدي » .

قال حمدان « اذن فالحل أن تطلق ابنتنا فاطمة ، ونطلق اختك صفيــة » .
مثل فاطمة لا تطلق يا عماه ، يقطع لساني وتحرق شفتاي ، ويراق دمي قبل ان تخرج من فمي لفظة الطلاق .
حمدان : اسمع يا حسين ، أنا أعرف كيف أعيد ابنتي الي ، واذا لم تعد فسأقتلها .
حسين : من أجل فاطمة تحملت ما تحملت منك ، وانك قد تجاوزت حدك ، وشططت في حكمك ، ان فاطمة قد خرجت من طاعتك ودخلت في عصمتي ، واعلم أن اليد التي تمتد اليها بسوء تقطع .
ــ امراتي طالق اذا بقيت فاطمة زوجة لك بعد اليوم .
ــ ها هي فاطمة قبالتك فهيا وتقدم اليها لتأخذها ان كنت رجلا ، وان فعلتها ورجعت سالما يا حمدان ، فاني أعاهدك أني سألبس برقع النساء ، ولن اسير بين الرجال بعد اليوم . ثم قعد على عتبة داره والشر يقطر من جبينه .
ــ لعنة الله عليك يا ابليس . قالها العم ودخل بيته .
أما صفية فقد تيبست يداها وتيبست رجلاها بعد أن شفيت مــن جراحها ، وامتنع ابراهيم عن تطليقها وتزوج بغيرها . وبقيت عشرين سنة تزحف مقعدة .

## الجنيــــة الهادئـــــة

رحلت صفية من حوش ابي زلطـــة ، حوش اهلها الذين ظلوا يصبون عليها اللعنات والشتائم كما كانت ضحكات الاستهزاء والسخرية تمزق أعصابها ، وقررت الرحيل الى حوش آخر في القرية بعيد عن دار المهانـــة .

## تعلمـــت صناعــــة الكحــــل

اختارت صفية السكن في حوش عياش عند عجوز مقعدة تصنع الكحل وتتاجر به ، واسم العجوز ياسمين الفاخوري ، وظلت صفية

عند العجوز ياسمين عشر سنوات تعلمت فيها صناعة الكحل واتقنته ، فلما توفيت ياسمين أتقنت صفية صناعة الكحل واجادتها .من بعدها ، وكان الذي يسوق لها البضاعة في القرية وخارجها شخص من أهل القرية اسمه عبد الله العاصي وقد افاد واستفاد من هذه التجارة .

تناقل أهل القرية خبر جنية تظهر في الهزيع الاخير من الليل ، ولكنها جنية هادئة ، لا تؤذي الناس ولا تتعرض لهم بالاذى ، اذا لم يتعرضوا هم لها بأذاهم .

ولم يتعرض لها الا شخص واحد فضولي فلما حاول مسها قذفته بماء النار في وجهه فولى هاربا . ولم يتعرض لها أحد بأذى بعد هذه الحادثة . وكانوا اذا لقوها في الطريق افسحوا لها الطريق وقالوا لها سيري يا مبروكة . وكان اذا حاول بعض الفضوليين الاقتراب منها تكتفي في بادىء الامر باطــلاق فحيح كفحيح الافعى يعقبه صفير كصلصلة الجرس فيبتعدون عنها .

كان حبيبها المجهول قد بنى غرفة بعيدة عن سكنه وسكن عياله ، يتخذها خلوة للقاء صفية المحبوبة في مواعيد يتفقان عليها . يتناجيان ويبكيان حظهما العاثر ، وحبهما الضائع ولا يخفف بلاءهما ، ويطفىء نار الحب المتأجج بين ضلوعهما ، الا ما يسكبانه من الدموع المختلطة على خديهما ، وذهبت جهودهما المشتركة مع زوجها ابراهيم ليطلقها عبثــا . عشرون سنة ظلا ينتظران الفرج ، غير أن الفرج صار أملا يكاد يكون مستحيلا ، ويعللها :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ، يكون وراءه فرج قريب .

وابراهيم الذي ولد عليلا مشوها من بطن امه وقد ملأ الحوش بنين وبنات ظل يغذي حقده بالتشفي من صفية والانتقام منها .

واخيرا اضطر حبيب صفية المجهول أن يظهر على مسرح الاحداث فذهب لزوجها ابراهيم وقال له :

أما يكفيك ترك صفية وهي ابنة عمك على هذا الحال عشرين سنة ؟ فاعتق رقبتها ، وامنن عليها بالطلاق صدقة عن أولادك ، حتى لا ينتقم الله منهم .

ـــ وهل تريدني أن أخسر أختي فاطمة ، بدون مقابل ؟! .
ـــ سأفك رقبة هذه الاسيرة المسكينة من مالي الخاص احتسابا لوجه الله تعالى .
ـــ وكم تدفع فدية عن رقبتها ؟
ـــ وكم تريد أنت لاعتاق رقبتها ؟
ـــ أريـــد مهـــر المثل .
ـــ وهل تركتم لها مثيلا بعد أن فعل أبوك بها ما فعل ؟
ـــ هذا شرطي عليك فان أعجبك فاقبل ، وان لم يعجبك فأدبر .
ـــ أيها الرجل ، انا متبرع لعتق رقبة هذه المسكينة فلم هذا التجبر ؟
ـــ صفية هذه التي تريدني أن أشفق عليها جعلتني عبرة لكل معتبر . جعلت مني أضحوكة وسخرية في أفواه الناس جميعهم ، فأنا اليوم أتلذذ بعذابها وأسعد بشقائها ، صفية هذه التي استهزأت بتقوس ظهري ، وسخرت من حدبتي ، وركلتني برجلها ، لقد انتقم الله لي منها .

ـــ العفو عند المقدرة ، وقد قدرت فاعف ، ومن عفا وأصلح فأجره على الله .
ـــ انها كلمة واحدة لا تبديل لها ولا تغيير ، لقـــد تزوجت زوجتي الثانية بخمسين جنيها فهات الخمسين جنيها وخذ كلمة الطلاق مني
ـــ غدا سآتيك بالخمسين جنيها وبالمأذون والشهود لتطلقها .
ـــ وفي اليوم الثاني حضر المأذون والشهود وتسلم ابراهيم الخمسين
وفي اليوم الثاني حضر المأذون والشهود وتسلم ابراهيم الخمسين جنيها وطلق صفيـــة .

ولما وصل خبر الطلاق الى صفية ، تحسست نفسها واذا بصفية هذا الذي هي فيه ، أم تراه وهم وخيال ، ونهضت واقفة كالرمح المشرع، اليوم غير صفية الامس ، ان أعضاءها تتحرك بيسر وخفة ، أحقيقة ومن غير وعي انطلق لسانها بالزغاريد وبعد أن كان غناؤها من قبل :

ياما ماني رايده ياما ماني رايده .. عشرة بلا فايدة ، عشرة بـــلا فايدة ، يا خي

صارت تغني :

غني لي شوي شوي ، غني لي وخد عيني
المغنى حياة الروح ... يسمعها العليل تشفيه
واداوي كبــد مجروح ... حار الاطبا فيـــه .

وتجمع الناس على الزغاريد والغناء وأمسكت صفية بالسيف الذي ضربت به من عمها ، وأحضر الطبل والمزمار ، وظلت صفيـــة ترقص بالسيف حتى طلعت شمس الصباح ولم يبق أحد في القرية الا وحضر ليرى المعجزة .. صفية ترقص على أنغام رنين السيف تقرعه بسيف آخر حتى طلعت الشمس .

ولما انقضت العدة عقد الحبيب الاول قرانـــه على صفية ودامت الافراح والليالي الملاح ، اسبوعا بكامله اشترك فيه أحفاد أخيها حسين واحفاد ابن عمها الاحدب ، ولم يكن للقرية حديث الا معجزة صفية التي دامت مشلولة عشرين سنة ، لم تنهض خلالها لحظة واحدة ، ولـــم ينفعها طب ولا دواء ، وكلمة واحدة هي طلاقها من ابراهيم وهذه الكلمة التي كانت البلسم الشافي التي أعادت لها الامل الباسم وأزاحت عن صدرها كابوس الكراهية والبغضاء ، وعادت دماء الشباب تجـــري فـــي عروقهـــا .

## الفاجعـــــة

أما حسين وفاطمة ، فقد ظلا يرتشفان كؤوس الهناء والسعادة ستين عاما كأنها ساعة ، تتجدد كل ليلة بينهما عاصفة مشبوبة ، من نار شوق ملتاع وكأنهما كل مرة في لقاء بعد فراق ، شوق محـــرق ينتهبانه من العمر قبل أن يفرق البين بينهما .

وفي ليلة ناما كأجمل ما ينام عريسان في أول يوم مـــن أيام شهر العسل ، وصحا المسكين في الصباح من النوم ، فمد يده يداعب خصلات شعرها ، وتحسس جبينها وخديها ولكنه أحس وكأنه يضع يده على كومة من ثلج ، فهب مذعورا ينادي : فاطمة ، فاطمة . ولكن فاطمة

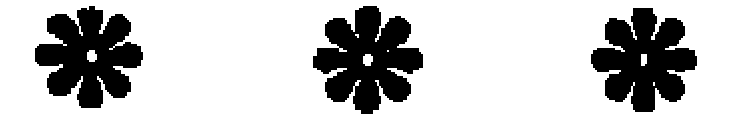
لا ترد ، وهزها هزا عنيفا وهو يصرخ بأعلى صوته : ردي علي يا فاطمة . ردي علي يا فاطمة .

وتجمع الناس على صراخه ، ونظروا الى وجهها وقد علته صفرة الموت وتحسسوا نبضها فقالوا لقد ماتت فاطمة يا حسين . وخولط المسكين في عقله ، وخرج من الدار هائما على وجهه وهو يهذي ويلطم وجهه ، وينث التراب على رأسه ، ويبكي بكاء رضيع فقد ثديه . وكان يمسك بتلابيب كل من يلقاه ويقول : هل رأيت فاطمة ؟ هل قابلت فاطمـــة ؟!! .

وظل شهرا بطوله لا يكن ولا يستكين ، يواصل الليل بالنهار ، لا يترك أحدا يمر به الا ويمسك بتلابيبه ويسأله ببكاء وحرقة : هـــل رأيت فاطمة ؟ أين فاطمة ؟! .

وذهبت كل المحاولات من أولاده وأهله ، لاعادته الى البيت والتخفيف عبثا عنه . وبعد شهر من الوسوسة والضياع ، فقد حسين وفتش أهله وذووه عنه فلم يجدوا له أثرا .. وبعد شهر من ضياعه ، مـــر راع بالمغارة التي أعرس فيها حسين على فاطمة ليلة زفافه فوجـده نائما وقد اضطجع في نفس المكان الذي كان ينام فيه معرسا علـــى فاطمة ، والى جانبه حشية من قش ، وقد البسها ثوبها المطرز بالحرير ، ووضع يده اليمنى تحت الحشية ويده اليسرى فوقها ، وضمها الـــى صدره ، وقد علت وجهه بسمة عريضة وتيبس جسمه حتى أصبح قديدا والى جانبه بلاطة كتب عليها :

| | |
|---|---|
| **يغني صبي عالج البين خاطره** | **ودموع العين على الخدين غزار** |
| **بقيت مآمـــن لليالي وخانتنـــي** | **او خلين قنديـــل الهنا ملتـــاح** |
| **يا حسرتي ما غاد عيني تشوفهم** | **الا بساعــــــة تتجمـــع الارواح** |



# فلــة حكــم

كان ذلك في نهاية الحرب العظمى الاولى وقد عاد الاعطر الـى قريته يلبس بدلة عسكرية تركية ، وقد تحولت تلك البدلة الى شرائح وسيور ، فبدا العطـر كانه أرغون في مهرجـان ، مكشوف الرأس حافي القدمين .

فبادرته أخته خضرة مبهورة مصعوقة وقالت : « ان لم تخني ذاكرتي فأنت أخي العطر » . ولم يقو العطر على الرد على اخته خضرة وكل الـذي استطاع الرد به عليها ايماءة من رأسه بالايجاب ، نعم أنا أخـوك العطـر .

فضمته خضرة الى صدرها باكية مولولة « لهفي عليك يا أخي العطر انه لم يبق منك الا صورة اللحم والعظم » .

وأشار العطر الى خضرة ، انا مشرف على الموت من شدة الجوع فقد مضى علي ثلاثة أيام لم أتناول فيها لقمة من الطعام ، ولسان حاله يقول أنا كسراج نفذ الزيت منه ، وأقل نسمة من الهواء تهب عليه تطفىء شعلة الحياة منه .

فأسرعت خضرة تحمل العجين مسرعة الى الطابون لتستعجل لـه الخبز ، ولكنه يشير اليها أن تقدم العجين منه فقدمته اليه وهي لا تدري ماذا يقصد بطلبه .

فلما صار العجين بين يديه اغترف منه ملء عرامه والقاه في جوفه . فجرت العجين مسرعة من بين يديه وأسرعت الى الطابون وهي تكلم نفسها قد لا أعود بالخبز وهو على قيد الحياة .

وبعد أن امتلأت معدة العطر بالخبز بعد العجين جرى الدم في وجهه وعادت عروقه تنبض بالحياة ، سألته خضرة لم انت يا أخي على تلك الحالة المفجعة ؟ وهل جميع رفاقك من جنود العرب والاتراك

على الحالة التي أنت عليها ؟ فليست الحالة التي أنت عليها توحي بصدق الاخبار التي وصلتنا عن انتصارات الجيش التركي ومعظم جنوده من العرب على الجيوش الانكليزية الهائلة في غزة .

## صــــد الهجــوم الانكليزي على غــزة

فقهقه العطر بعد أن امتلأت معدته وقال :

« لما أرسل الامام علي كرم الله وجهه قائده العظيم الاشتر النخعي واليا على مصر ، خاف منه معاوية على ملكه فأرسل اليه من دس له السم في الطريق فقتله » وقال معاوية « لله جند من عسل » .

وأنا بدوري أقول عن معركة غزة لله جند من صبر « الصبر هو التين الشوكي » .

ان الجيوش تضع خط دفاع او خطين أما غزة فمحاطة بخطوط دفاع لا حصر لها فكل حاكورة صبر خط دفاع ، فعدي حواكير وعدي خطــوط دفـــاع .

انه شيء لا يصدق يا خضرة ، لقد كان الانكليز يرسلون بجنودهم بكثافة وغزارة ولا يلبثون حتى يقعوا بين ألواح الصبر كالفئران في المصيدة ونكون نحن لهم بالمرصاد فنصطادهم بلا عناء واحدا اثر الاخر فيسرع السكان فيسلبونه سلاحه وذخيرته ، وظلوا على هذا الحال حتى أصبح القائد بلا جنود .. فيا له من نصر عظيم لو أن له رجال

قالت خضرة : وأين هو النصر والاتراك يتراجعون كل يوم ؟

ورد عليها الاعطر : كثير من الفاتحين كسرت شوكتهم على حدود غزة ، مثل الانكليز . وعندما رأى القائد الانكليزي اللنبي أنه يستحيل عليه اقتحام غزة وجـــه هجومه عن طريق بئر السبع ، وبمساعدة بعض مشايخ البدو مثل فريح أبو مدين نجح الانكليز في فتح بئر السبع وزحفوا منها على الخليل .

قالت خضرة : وماذا تراهم فاعلين بك لو وجدوك أثناء تراجعهم ؟

ورد عليها العطر سيطلقون علي النار ويقتلونني فورا ، لاني جندي

فار من الخدمة العسكرية .
قالت خضرة : يقتلونك بعد أربع سنوات من الجهاد ، وبعد الانتصار الذي شاركت فيه في الدفاع عن غزة ، فأنت كمن راح يبغي نجوة من هـلاك فهلك .

## نظـام السخـرة

اسمع يا عطر تختفي في المتبن حتى يتم الاتراك انسحابهم وسأذهب أنا لأرعى المواشي في المرعى كما كنت في السابق واياك أن تظهر على أحد في القرية فيشوا بك الى العسكر الاتراك فتكون القاضية عليك .
وفي الصباح ذهبت خضرة مع المواشي الى المرعى وبقي العطر في المتبن ، وظلت تنتقل مع رعاة القرية من أطفال ونساء من مكان الى مكان طلبا للكلأ ، وفجأة عند العصر دهمتهم جرزة من الفرسان الجندرمة الاتراك ، وأحاطت بهم واستاقت جميع المواشي من خيل وحمير وبغال واستاقت معهم خضرة القدرة واختاروا أكبر طفل مـن الرعاة اسمه الحطاب وعمره تسع سنوات .

وصاحت خضرة وبكت واستجارت بهم أن خذوا المواشي ودعوني فنهرها الضابط ولسعها بسوطه لسعتين جعلها تهرول ولا تلوي على شيء وبكى الخطاب أريد أمي أريد أمي ، ولكن الضابط نهره ورفع عليه السوط قائلا له : « اشك أغلي اشك » اي حمار ابن حمار ، فخاف الخطاب وأسرع الى خضره يطلب حمايتها فأشارت له خضره الـى موضع لسع الكرباج كمحاور النار على جسدها فجعل الخطاب ينوح بأعلى صوته : وا أبتاه وا أماه ، فلكز الضابط الحصان نحو الغلام ثم أخذ بعنانه فوقف على رجليه حتى أصبح الغلام بين يديه ثم سقط من الخوف على الارض وانقطع صوته الا من حشرجة تختنق في جوفه .

واقتادوا خضره والخطاب مع بهائمهم الى حيث ينزل العسكر وحملوا أمتعتهم على البهائم ، ومشى فارس أمـام القافلة واستاق الخطاب وخضره القافلة خلفه .
عاد الاطفال الصغار من الرعاة الى القرية ينبئون عن أخذ بهائمهم

لخدمة الجيش في ظل قانون السخرة وهـــذا القانون يخـــول الجيش استعمال جميع حيوانات البلاد بدون أجر زمن الحرب .

جاء الليل وأظلمت السماء والعطر ينتظر أخته خضره ولكنها لـــم تعد ، فتحامل على نفسه وفتح الباب بخفة ، وجعل يسير في أزقـــة القرية الضيقة واذا بالاولاد في الازقة ولا حديث لهم الا عـــن البهائم وتسخيرها وعن أخته خضرة والطفل الخطاب اللذين استاقوهما ليسوقا بدورهما الدواب .

## العطر يتصدى للاتراك ليسترد خضره

لقد غلى الدم في عروق العطر . أبعد بلائه في الحرب أربع سنوات متوالية آخرها حرب غزة تختطف أخته خضره .

فتحامل على نفسه المنهكة وحمل بندقيته العسكرية وأخذ يعدو خلف القافلة حتى دنا منها ، ثم صاح باللغة التركية خلوا عن خضرة والا رميتكم بالنار . فرد عليه الفرسان الاتراك بالهزء والسخرية ، تقدم أيها الكلب الحقير لنجعل من جثتك طعاما للوحوش .

عرفت خضره صوت أخيها العطر ، ولكنه بدأ يطلق النار على القافلة ،، ورد عليه الفرسان بنار غزيرة .

ومن بين أصوات أزيز الرصاص وسباب الفرسان نادت خضره : يا عطر عد الى مخبئك والا عرضت نفسك للموت ولا تخف علينا ، فان عرضنا مصان .

وسكت اطلاق الرصاص من قبل العطر لان بضع الرصاصات التي كانت تتلمظ بها بندقيته قد نفذت . فهل يتقدم من الفرسان ويطلب منهم اعفاء أخته خضره من سوق القافلة ليقوم عنها بهذه المهمة ؟ وتذكر انه جندي فار من الخدمة ، ولا ينتظر منهم جوابا على عرضه الا بضع رصاصات تخترق جسمه ، فتجعل منه طعاما للوحوش كما توعدوه ، وحمل بندقيته على كتفه وقد أصبحت عصا بعد أن نفذت منهـــا الذخيرة .

## قطرة كاز اغلى من قطرة دم في الحرب

عاد العطر الى مخبئه في المتبن وبحث في ارجاء البيت عن طعام فلم يجد فيه سوى قليل من القطين والعنبية . ذلك ان الحرب اتت على كل شيء لدى الناس ولا طعام لهم الا ما تنبت الارض من بقول برية كالخبيــزة .

سارت القافلة بخضره ولا عمل لها الا تلقي الاوامر من الفرسان لتلحق بذلك البغل او بهذا الحمار لتوازن بين عدولها فلا تسقط ، أما الخطاب فقد اختاره الضابط ليحمل له تنكة من الكاز فيها ربعها . وعلى طول الطريق التي سلكوها بين القدس والخليل والتنكة تقرع والخطاب بين سقوط ونهوض حتى بلغوا بيت لحم ، حيث تثاقل التعب والنعاس على الغلام فسقط مغشيا عليه وسقطت التنكة الى جانبه ، ينزف منها كازها وينزف من جبين الغلام دمه ثم انهال الضابط على الغلام سبا وشتما ، لقد حملتها من بئر السبع الى هنا فجئت الان بعد أن كدنا نصل الى القدس لتكبها على الارض ، ولم يؤلمه دم الغلام المهراق الى جانب الكاز لان الكاز في الحرب أغلى من دم الغلام .

## عمارة في القدس أكبر من القرية

اخترقت القافلة شوارع القدس التي كانت تعج بالجيش التركي المتراجع من جميع الجبهات لان تراجع الجيش التركي في الاردن اضطر الجيش التركي الى اتخاذ خطوط دفاع جديدة في فلسطين .

سارت خضره والخطاب يتعثران خلف دوابهم في وسط القدس بحيث لا تقع عيونهم الا على جنود لا تختلف حالتهم عن حالتهما من الاعيــاء والتعب والسهوم ، وكانا مشدوهين لما يريان من أبنية القدس العالية وأبراج أسوارها الفخمة وهما اللذان يدخلان المدينة لاول مرة .

وظلا سائرين حتى وصلا الى بناء ضخم كبير له بوابة كبيرة يقال له القشلة حيث القى الجنود بأحمال الرواحل واعطوا لكل واحد منهما قسماطة ( وهو رغيف من الخبز اليابس ) وصاحوا بهما : بيتك ، بيتك فأين هو البيت والدواب قد انهكها التعب والجوع والعطش وخرجــا يسوقان دوابهما على غير هدى حتى لقيهما شيخ طاعن في السن .

تقدمت خضره من الشيخ وشكت له حالتهما وانهما غريبان لا يدريان اين يذهبان ؟ فقال الشيخ اتبعاني وسار بهما حتى اوصلهما الى خان في وسط البلد يقال له خان السلطان وأدخل دوابهما وأوصى صاحب الخان بهما حتى صباح الغد ليعودا الى قريتهما في صباح الغد بعد أن يأخذا قسطهما من الراحة .

## لقــاء كانـــه حلـــم

قعد الخطاب على باب الخان يتفرج على المارة ونسي الخطاب أن له اخا يعمل بوليسا في مدينة من مدن فلسطين وأن هذه المدينة هي مدينة القدس الى أن مر به أخوه البوليس ، وكاد الخطاب أن يجن حين راى أخاه يمر به ، وأذهلته هذه المفاجاة وجعل يصرخ : اخوي حسين ، أخوي حسين . والتفت الحسين الى هذا الصوت الذي شعر بانه ليس غريبا عليه . ارتمى الغلام في أحضان أخيه وهــو ينتحب ويبكي ، أهو في عالم الخيال أم هو في عالم الحقيقة ؟! .

وضم الاخ الكبير أخاه الصغير الى حضنه واختلطت دموعهما وتكلمت تلك الدموع عما تكنه القلوب وتخفيه الصدور . لقد كانت الارض خالية من القدس الى حدود أرض بئر السبع ، فقد انسحبت منها القوات التركية ولم تتقدم فيها الجيوش البريطانية ولهذا كانت المنطقة في فراغ .
لقد ظن حسين أن أخاه الخطاب هو الوحيد الذي نجا من براثن المعركة وأن آخر من بقي من افراد العائلة هو الخطاب لذلك فقد عقد لسانه للمفاجاة .

وبعد أن غسلت دموعهما غشاوة المفاجاة التي أحاطت بكليهما للقاء الذي كان حلما من أحلام اليقظة . ثم أمسك حسين بأعضاء أخيه الخطاب وأبعده عنه وحملق فيه .
أخبرني يا خطاب هل ماتت زوجتي وأولادي ؟ وهل مات أبي واخوتي؟ وهل لم ينج من العائلة غيرك ؟
وجحظت عينا الخطاب وحملق في أخيه واستغرب سؤال أخيه ، وبدلا من أن يجيبه على سؤاله اجابه بسؤال آخر ، فقد ظن أن الجيش

التركي بعد أن غادر القرية ، قد قتل سكانها انتقاما من عمل العطر بهم وسأله « هل حدث شيء للقرية بعد أن غادرناها ؟ »

وظن حسين ان اخاه متهته وأن به لوثة وقال له : « أنت الذي في القرية تسألني وأنا في القدس عما حدث في القرية ؟! » أجبني ما الذي جاء بك الى هنا ؟

وتنهد الغلام وعاد يبكي ثانية . الجيش ، العسكر هم الذين جاءوا بي الى هنا .

وصاح به أخوه : ولم جاءوا بك الى هنا ؟

من أجل السخرة جاءوا بي الى هنا .

وما علاقتك بالسخرة وأنت طفل صغير ؟

احضروني مع خضرة القدرة لنسوق لهم بهائم السخرة التي استولوا عليها لان الرجال في الخدمة العسكرية كما تعلم .

وأين هي خضره القدره ؟

انها في الخان عند البهائم .

فأسرع أخوه الشرطي الى الخان وأخذ خضره والغلام الى بيته وأوصى صاحب الخان بالبهائم .

ولما استقروا في البيت واكلوا واستراحوا سأل أخاه عن زوجته وأولاده الذين نقلهم الى القرية خوفا عليهم من المذابح التي اعتاد كل محتل للقدس ان يجريها على رقاب سكانها .

زوجتك وأولادك ، انهم يتضورون جوعا ولا طعام لهم الا من اعشاب الخلاء شأنهم في ذلك كشأننا وكشأن سكان جميع القرى .

وأجاب الاخ الكبير : غدا سأحمل لكم بهائم السخرة من جميع الأطعمة والحبوب فالبيت عندي مملوء بالمؤن ولمن سأدخرها اذا كان أولادي يتضورون جوعا ؟

وفي الصباح جاءوا بالبهائم فحملها جميع مؤن البيت من طحين وبرغل وكسكسون وعدس وسكر وأرز وزيت وزيتون . وانتحى بأخيه جانبا ووضع تحت ابطه صرة من الذهب ثبتها بثوبه وقال له لا تطلع عليها أحدا واعطها لزوجتي .

وركبت خضره بغلا وركب الخطاب حمارا واستاقوا القافلة الـى الجنوب نحو القرية ورافقهم البوليس بلباسه الرسمي حتى أخرجهما من المدينة حتى لا يستولي الجنود الاتراك على أحمالها .

وسارت بهما القافلة في طريق موحشة ، ،حتى الطير في السماء هي الاخرى قد هيجت من السماء ، والبهائم تسير الهوينا على مهلها ولا تكترث بصوت الغلام ولا بصوت خضره وكأنها شاعرة بما يحيط بها وبأن الارض التي تسير فيها لا سلطة لاحد عليها الا الله ، فهي لا تهتم بالاصوات التي تستحثها على السير .

وتحملتهما الطريق من القدس الى مفرق برك سليمان في الخضر من طلوع الشمس الى الظهر لم يشاهدا خلال الطريق انسانا ولا جانا .

## قاطعا طريق يعترضان القافلة

وفجاة مرت القافلة قرب مفرق برك سليمان علـى طريق القدس الخليل برجلين يجلسان على جدار كرم لأهل الخضر وكانا ملتثمين لا تظهر منهما غير عينيهما فردت عليهما خضرة السلام ولكنهما لـم يردا السلام ا فنظرا أولا الى الغلام والمرأة فايقنا أن خصمهما مهيض الجناح، وان الفريسة لا حول لها ولا قوة وبعد ذلك سددا نظراتهما الى حمولة البهائم وكأنها أشعة اكس تفحص ما بداخل الاكياس والصناديق . شعر الغلام بالخوف من منظر الرجلين المتجهم ، والتفت الى خضره ليقرأ على صفحات وجهها ما تركه الرجلان من اثر عليها ، فوجـد عضلات وجهها قد تقلصت وعلت وجهها صفرة .

التفت الغلام لخضرة وقال لها : انني خائف من هذين الرجلين ، وتصنعت خضره الشجاعة وقالت : ليس هناك ما نخاف منه . الا أن الغلام لم يصدق قولها لانها كانت بين كل لحظة وأخرى ، تدير رأسها للخلف لترقب تحركات الرجلين ، وشاركها الغلام بالتلفت .

وظلت هذه حالتهما حتى صعدا عقبة برك سليمان واختفى الرجلان عن انظارهما ورجعت الطمأنينة الى نفسيهما ، وظلت القافلة سائرة بخطاها الوئيدة المتثاقلة حتى وصلا الى المنحنى الجنوبي من الطريق

بعد مفرق نحالين واذا بالرجلين يقفان على حافــة المنحنى الشرقي مــن الطريــق .

والتقطت عدستا عيني الغلام صورة دقيقة محددة لكــلا الرجلين فرضها الفزع والخوف منهما كما أنهما فكا لثاميهما ، أما احدهما فكان متوسط القامة ، أسمر فاحما ، ممتلىء الجسم ، أما عيناه فسوداوان ، وأنفه مستدير ، حليق في الخامسة والعشرين من عمره ، وأما الثاني فأشقر ضخما ، عريض المنكبين ، طويل القامة ، في عينه اليمنى حول ، ملتح في الاربعين من عمره .

ولما صارت القافلة بمحاذاة الرجلين مال حمل احد البغال فتوسل الغلام للرجلين أن يصلحا حمل البغل قبل ان يسقط .

فقال الاشقر منهما بلى والله ، واقبل نحو البغل ، والغلام يحسبه قادما لاصلاحه ، واذا به يفك حباله ، ويلقي بحمله على الارض ، وكذلك فعل صديقه بحمل آخر ، حتى فكا أحمالها جميعا ، ثم تحولا الى فتح الاكياس والصناديق ، وبسطا عباءتيهما على الارض ، وجعلا ينتقيان من الاغراض ما خف وزنه وغلا ثمنه ، ولم تنبس خضره ببنت شفه وكانت تخشى أن يتعرضا لها بسوء . وقفز الغلام عن حماره وجعل يسبهم ويشتمهم ويقول سيأتي أهلي وينتقمون منكم ، فقال انكم مــن بلد سالم أبو عصبه ، ولنا ثأر عنده لانه سرق نعاجنا في العام الماضي .

ولما أقدم الاشقر الضخم على تفريغ متربان زيتون في عباءته سأله الغلام حتى الزيتون تأخذونه ؟ فقال : هل انتم وحدكم الذين تأكلون الزيتــون ؟ .

ونظر الاشقر الى صرة الذهب تحت ابط الغلام ، ونسي الغــلام الصرة التي تحت ابطه ، ولم يذكره بها الا مد يد الاشقر الى الصرة لينتزعهــا .

شعر الغلام بالخطر العظيم لو تمكن الاشقر من اخذ صرة الذهب ، فان كل ما تحمله القافلة لا يساوي صرة الذهب فامسك الغلام بالصرة وقال : « لو أخذتم هذا الذهب مني لذبحني اخي » .

سمع الاشقر بالذهب فجن جنونه ، وترك كل ما بين يديه مـن اغراض وقفز خلف الغلام وصاح بأعلى صوته هات الذهب والا قتلتك !

ذعر الغلام حينما سمع أن في الامر قتلا وموتا . فاطلق ساقيه يسابق الريح وسال لعاب الاشقر على الذهب ، فهو يجري من غير وعي ، ولكن شيئا يعوق خطاه ، ويقيد رجليه ، ذلك أنه ينتعل بسطارا من بساطير الجيش الثقيلة ، مرصع نعله بالمسامير وكعبه بحذوة من حديد ، وكان الفضل للبسطار الذي خلص الغلام من براثن هذا الاشقر الطاغية ، وكان الغلام كلما سمع جلجلة البسطار تقترب منه انخلع لبه وزاد من سرعته ، واذا خفت صوت البسطار خفف الغلام مـن سرعته حتى يلتقط أنفاسه . وبعد مسيرة نحو من كيلو متر أخذ التعب والبسطار يخففان من خطى الاشقر ، فابتعد الغلام عنه ودب اليأس الى قلبه ، فأدار ظهره وبعد أن سار بضع خطوات ، تحرك في نفسه شيطان الطمع ، وبهر خياله بريق الذهب فانقلب ثانية يعدو خلف الغلام يضرب الارض ببسطاره كبغل شموص انحدر من تلعة مربعة ، وكان الغلام قد التقط انفاسه في مدة غودته بضع خطوات ، وجـرى خلفه الاحول كيلو متر آخر في طريق منحدرة الى أن وصل الى وادي البيار ، وهنا وقف الاحول ونادى الغلام يا ولد ، يا ولد ، تف ولا تخف عليك الله وأمان الله ، فرد عليه الغلام : أكل هذا الجري جريته خلفي مـن أجل أن تعطيني أمان الله يا من لا أمان لك ، وأين كان أمان الله وأنت عند البغال ؟

انتهى النزول المنحدر الى وادي البيار وبدأت العقبة الى جورة الشمعة فتقاصرت خطى الغلام لانه يصعد والاحول ينحدر ، وأصبحت المسافة بينهما لا تزيد على عشرين مترا أخذت تتناقص ولما بدأ الاحول في الصعود الى العقبة خفت سرعته هو الاخر وعادت المسافة الاولى التي تفصل بينهما هي هي . ولما وصل الغلام الى مفرق جورة الشمعة كان قد دخل من الشمس في خدرها ثلثاها ، واذا برجل طويل نحيف اعرج يلبس عمة عليها طيتان ولما رأى الاحول الغلام يقف مع الرجل الاعرج انقلب على عقبيه يقضقض أسنانه حسرة على الغنيمة التي فاتته .

بكى الخطاب وتوسل الى الاعزج ليعود معه كي ينقذه من هذين المجرمين ويخلص رفيقته خضرة ومعها الاغراض والقافلة .
ورد الاعرج أمجنون انت أيها الغلام ؟! انها فلة حكم يأكل فيها القوي الضعيف بلا وازع من قرآن أو سلطان هيا اذهب في طريقك ، فأنا خائف على نفسي ان يسلبني اللذين سلباك .

ونظر اليه الخطاب بألم وحسرة وملابسه رثة لا تستر جسمه كله وقال له : « ما الذي تخاف عليه أن يسلبك اياه قاطعا الطريق ؟ »
وصاح الاعرج بالغلام : « يخرب بيتك ما أكبر كلامك » اذهب مسرعا الى اهلك قبل أن يلحق بك اللصان . ولم يدر الاعرج أن الفضل كان له لخلاصي من الاحول الذي حسبه زلمه فتراجع عن الغلام .

وسار الخطاب منذ تركه الاعرج وهو يصيح ويستغيث ها صبيان ها صبيان واخترق حلحول من أعلاها الى اسفلها وهو يصيح ويستغيث حتى بح صوته دون أن يجد لندائه صدى أو لاستغاثته مجيبا .

ودخل البيت وارتمى في أحضان امه جثة هامدة والقى بصرة الذهب لامرأة أخيه وسار عشرة من شبان القرية على راسهم العطر اخو خضرة ومعه بندقيته دون خوف من الجيش التركي أن يشنقه لانه انسحب ودون خوف من الجيش الانكليزي لانه لم يصل بعد .

وظلت النجدة سائرة الى المكان الذي وصفه لهم الخطاب ولكنهم لم يجدوا احدا ، لان خضرة اختفت عنهم ظانة اياهم جماعة اللصوص ، الى أن سمعت صوت العطر يناديها : خضره ، خضره ، انا اخوك العطر فلما تأكدت من صوت أخيها نادته : ها انا يا أخي . وتقدم اليها الرجال فلم يجدوا معها شيئا فدلتهم أين أخفت البهائم خوف عودة اللصوص اليها وأرتهما أين أخفى اللصان الاغراض حتى يعودا اليها . وكانا قد أخفياها تحت جسر في الطريق العام ولم يأخذا من الاغراض الا ما استطاعا حمله في عباءتيهما ولم يأخذا معهما شيئا من الدواب لان أصحابها سيعرفونها وبذلك يتعرفون على قاطعي الطريق . وعادت خضره مع النجدة الى القرية .

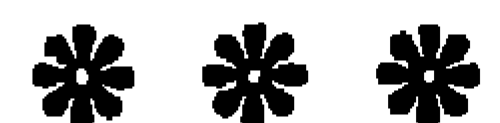
## الجيش التركي يقرر القدس مدينة مفتوحة

قرر الجيش التركي اعتبار القدس مدينة مفتوحة خوفا من أن يتعرض سكانها لمذابح كما فعل نبوخذ نصر والرومان والصليبيون وكذلك خوفا على كنوزها الاثرية ومبانيها الدينية المقدسة مثل المسجد الاقصى وكنيسة القيامة وسورها التركي العظيم .

واتخذ خط دفاعه الى الشمال من رام الله على امتداد سلسلة الجبال قرب قرية عين يبرود وهذه السلسلة في المرتبة الثانية في فلسطين من حيث علوها .

وتمكن هذا الجيش أن يوقف زحف الجيش البريطاني لمدة ستة أشهر وسقطت دمشق بيد الامير فيصل قبل أن تسقط عين يبرود .

وقد كان من ضباط القيادة في هذا الخط من الضباط العرب الدكتور الحاج مير أستاذ التاريخ في الكلية العربية في القدس .





الامير فيصل يحتل دمشق
قبل سقوط عين يبرود بيد الانكليز

# الجيشـــ البريطانـــي

# يزحف مــن بئر السبع الــى الخليل

## اللحــم فــــي جــورة بحلص

نادى المنادي : اللحم في جورة بحلص فهرع سكان القرية عن بكرة أبيهم يزحفون نحو جورة بحلص لشم رائحة اللحم الذي أمضى معظمهم سني الحرب العظمى الاولى دون أن يشموا رائحة اللحم .

روى الغلام الخطاب أنه لما دخل الجيش البريطاني مدينة الخليل ، تبعته قوافل التموين التي كانت تنقل على الجمال ، وكان جمالة القوافل من المصريين المستأجرين . ونزلت هذه القوافل في جورة بحلص ( واد بين حلحول والخليل ) . وهطلت الامطار على هذه القوافل وكانت الارض التي تبرك عليها الجمال أرض سمقة حمراء ، تزلق فوقها أخفاف الجمال فتكسر سيقانها وما على الجمال الا أن يذهب الــى الضابط البريطاني ويخبره بأن جمله كسر حتى يأمره بتركه ، والجمال ينادي الناس المحيطين بالقافلة أن هلموا واذبحوا الجمل وخذوه بشريطة أن تعطوني ويال مجيدي .

ومن اجل ذلك نادى المنادي في القرية : اللحم في جورة بحلص ، وأسرع الناس . هذا ببلطته وهذا بسكينه وذاك بفأسه وأخرى بقطعة سيف صدئة . واتصل الناس في أسراب كأسراب النمل متصل آخرها بحلحول واولها في جورة بحلص . سرب ذاهب وسرب آيب . ونزلوا على الجمل المسكين قبل أن يلفظ أنفاسه الاخيرة وقطعوه اربا اربا ، بجلده وعظمه وكرشه .

واستمرأ الجمالون المصريون كسر الجمال وأخذ الريالات فجعلوا

يأخذون ريالا ويأتون بحجر كبير يرضخون بها ساق الجمل فيكسرونه ويسرعون الى الضابط الذي يأمر بتركه للفلاحين وهم ينادون : « جاكم البلا في بلادكم سماكم مخروق » لنزول المطر في بلادنا . وكان نصيب الغلام قطعة من مصران الجمل الغليظ لفها على عصا وحملها على كتفه وقد حاول الكثيرون سلب المصران من الخطاب ولكنه فر بها في الجبال حتى أوصلها الى الدار . وكانت فرحـــة في الدار بمصران الجمل . وشهدت حلحول والقرى المجاورة ليلة ظلت القدور تهدر حتى الصباح لكي تستوي لحوم الجمال الهرش .

## الناس جائعون فمن أين يأكلون ؟

قال الخطاب ظللنا نتساقط كالذباب على الفتات الذي يلقيه الانكليز من فضلاتهم ، وأخيرا أمر القائد العام برصف الطريـــق بين القدس والخليل ليشغل الناس الخارجين من الحرب وليس لديهم قرش يصرف ولا رغيف يؤكل ، وقرروا لمتر الدبش خمسة قروش ولمتر الصرار سبعة قروش ، واصطف الناس عائلات ، عائلات على أرصفة الطريق مفحجين متقابلين وبيد كل واحد دبورة ( طقاشة ) يكسرون بها دبش الحجارة وكلما جمعت العائلة مترا من الصرار أحضروا لهم المكيال فكالوه وكلما كانت للعائلة معرفة بالكائل أخسر لهم في الكيل ، وكانت العائلة الكبيرة لا تجمع أكثر من مترين في اليوم الواحد . يجلسون على الارض فتلسعهم رطوبة البرد ، وتعصف بهم الرياح الباردة ، ويلفهم زمهرير الشتاء ، فيقطع أمعاءهم ، ويورم أقدامهم ويلهب مفاصلهم فلا يعودون الى بيوتهم الا أمواتا أو أنصاف أموات ولكن الجوع كافر لا يرحم أحدا .

## الشعـــير فـــي كسيفـــا

انتهى فصــــل الشتاء بمصائبه وويلاته وخرج الناس كما قالت الشاعـــرة :

**صفـــــر الوجـــوه عليهـــم    خلـــع المذلـــة باديـــــة**

**وكأنهـــــم ممـــا بهـــم    اعجـــاز نخـــل خاويـــة**

وفي ضحى اليوم الاول من شهر مارس وقف مناد ينادي : الشعير في كسيفا من يقدر على الحصاد فزرع الشعير نضج في كسيفا . وكسيفا ارض من اراضي بئر السبع الى الشمال الشرقي من مدينة بئر السبع قريبة من بئر الملح وتل عراد المكان الموجود فيه المولد النووي لاسرائيل.

وما بزغ فجر اليوم الثاني الا وقد خرج سكان قرية حلحول على بكرة ابيهم ، شيبهم وشبانهم . نساؤهم ورجالهم ، أطفالهم وبناتهم ، بخيلهم ودوابهم . وساروا في أرجال كارجال الجراد الزحاف ورائحة خبز الشعير على الصاج تعبق في أنوفهم ، رائحة حنين وذكرى من قبل اربع سني الحرب .

ومع اشراقة صباح اليوم التالي بدأت هذه الزحوف الدافقة تلقي برحالها على تلال كسيفة ، وبطاح تل عراد وأطراف بئر الملح .

تجمع اصحاب الزرع ينتقون عمال الحصاد ويشرطون لهم الاجر . قال الخطاب : ونفق العمال جميعا الا نحن . فقد كان الناس ينظرون في وجوهنا فلا يجدون في وجوهنا أهلية للعمل فنحن طفلان ، وامرأتان وشابان صغيران . وبدأ الناس يعملون ونحن قاعدون لا يتلفت الينا أحد.

## المغامرة شروط العمل والاجر

وهي أن يحصد الحاصدون الزرع وفي آخر النهار يقسمون ما حصدوه الى اكوام يتفق على عددها وتسمى كل كومة غمرا : وتقسم هذه الغمور حسبب شروط العقد . فالغالب أن تقسم الى عشرة غمور متساوية ، يختار منها العامل غمرا أجره وتسعة لصاحب الزرع .

## الصيفة لمن لا يجد عملا

قال الخطاب : ولما لم نجد من يأجرنا في الحصاد فقد عملنا في الصيفة ، والصيفة أن يمشي من لا يجد عملا خلف الحصادين يجمع ما تناثر من السنابل خلفهم ويجمعه في ضمائم ، وكان بعض البخلاء من اصحاب الزرع من يمنع الصيافين من دخول أرضه بعد الحصاد الا أن يجلب غنمه فترتع خلف الحصادين ثم يسمح للصيافين بدخول الارض ،

وطبعا فلن يدخل صياف أرضا رتعت فيها الغنم لانها لا تترك سنبلة واحـــدة بعدهـــا .

وكان في بعض الاحيان كما يقول الخطاب يسعدنا الحظ أن نتصيف خلف حصادين تربطنا بهم صداقة أو صلة حيث كانوا يتغاضون عن جمع السنابل التي تتساقط من بين ايديهم فنتصيفها من بعدهم ، وفي بعض الاحيان حينما يكون صاحب الزرع لئيما كان يخلص الضمائم من يدينا وينثرها فوق الغمور .

يقول الخطاب : وكم من مرة انكوى جلدي ، بضربات حبال حمارتي من بدوي صعلوك لان الحمارة نهشت قليلا من الزرع اثناء مرورها بقربــــه .

## الملـــة أو الفرشوحة هي المكافاة

قال الخطاب : ان العصر الذهبي بعد سنوات الحـــرب العظمى الاولى هو عصر الملة أو الفرشوحة . فبعد أن تجمع ضمائم التصييف آخـــر النهار تذهب أمي الى صخرة أو تفرد كيسا أو بساطا وتأتي بحجر وتدق الضمائم حتي يخرج الحب من السنابل ثم تأخذه وتطحنه ثـــم تلخه بالماء وتعمل منه الخبز اما ملة في نار الجمر أو فرشوحة على الصاج . واذا كانت العجينة من طحين القمح سميت الفرشوحة ، ( شراكة ) ولا يجب أن تستوي الفرشوحة أو الملة في النار لانها اذا استوت أسرعت المعدة في هضمها ، فهي في حاجة الى غيرها .. ولكن الملة والفرشوحة الفطير والتي تعرق بالنار ولا تحرق فهي تمكث فـــي المعدة مدة أطول .

قال الخطاب : انتهى فصل الحصاد وعدنا بعدلين من الشعير على حمارتينا وكأننا قد فتحنا القسطنطينية .

## الخطـــاب يصبح راعــــي غنــم

قال الخطاب : أمهلني أهلي ثلاثة أيام حتى فش ورم رجلي وانزاح التعب من مفاصلي من المشي مدة يومين بلياليهما من كسيفة الى حلحول

وفي اليـــوم الرابع احضروا لي قطيعا من الماعز بعضه لهم وبعضه للنـــاس .

## مشـــاق رعـــي الماعـــز

قبل أن تشرق الشمس بنصف ساعة وكان الخطاب يغط في نـــوم عميق حينما اقبلت أم الخطاب توقظه من نومه ليسري بالماعز الى المرعى قبل ان يسبقه الرعاة الاخرون الى العشب فتلتهمه ، ففتح الخطاب عينيه المثقلتين بالنوم وسأل عن ايقاظه في هذا الوقت المبكر ، فأجابته أمـــه انسيت انك أصبحت راعينا العظيم ، ورد الخطاب : لماذا لـــم تختاروا أخي الاكبر لهذه المهمة ؟

وردت أمه : ان اخاك الاكبر يشتغل في التجارة . وأجاب الخطاب : ولم لا يكون أخي الاصغر هو الذي يرعى الغنم ؟ قالت الام : ان أخاك الاصغر لا يستطيع حكم الغنم . قال الخطاب : « بل انكم تضنون على اخوتي أن يشقوا برعي الماعز » .

كانت القرية عبارة عن أكواخ صغيرة متلاصقة ، تستطيع أن تقطع القرية من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها دون أن تنزل عن أسطح المنازل الا عند مفترق الطرق ، وكانت المراعي ملاصقة لابنية القرية وكان أشد ما يواجه الخطاب واضناه أن ينزع اللحاف عنه في الصباح الباكر وهو لا يزال غارقا في أحلام الطفولة ثم يغدو مع الماعز وهو لا يزال نصف نائم .

وكان أكثر ما يزعجه هي أمه التي كانت ترسله في هذا الوقت المبكر ، ولم تكن قد خبزت ، فيأخذ عن استحقاقه من الخبز عزاما من الطحين ، يحمله معه فاذا مـــا رعت الماعز وشبعت ، وقت الضحى هجعت الماعز ورقدت تشتر ما رعت ، وعندها يبحث عن نقرة نظيفة في صخرة ملساء يضع عرام الطحين فيعجنه ويوقد نارا يجمع حطبها من الغابة ثم ينضج ملته ويلتهمها مغموسة بامتصاص درة احدى الماعز .
وتكتشف الام هذه السرقة وتعاقب الخطاب عليها .

كانت هذه الماعز شياطين سيارة فهي لا تقتنع بالعشب البري بل

هي تتشهى الزرع الاخضر ، فلا يغفل الخطاب عنها لحظة حتى تسرع كالظباء التي يطاردها الصياد فتدخله وتحوسه وتأكل من غير وعي ولا ترتيب فيسارع صاحب الزرع حتى يقبض على الراعي فيشفه بعصى خضراء من البلوط ثم يسوقه مع الغنم الى المضافة حيث يغرمون اهله بالمال ثم يعاقبه اخوه الاكبر على اهماله بعدة جلدات بعصى من خيـزران .

## الصــراع مــع الذئــب

كان الذئب هو العدو اللدود الذي يحذرون الخطاب منه صباح مساء ، ويروون له عنه القصص المخيفة عن شراسته ومضاء أنيابه . ولذلك فقد سلحوه بشبرية شبيهة بالخنجر ليدافع بها عن نفسه وعن ماعـزه .

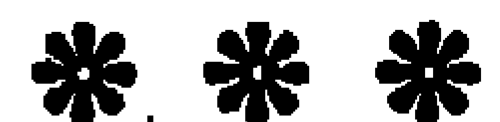
وفي يوم من أيام الربيع المشمسة ، وقد شبعت الماعز والتفت حول الخطاب في حلقة تجتر ما ابتلعته ، وجلس الخطاب بينها في استرخاء بعد جري متواصل في ضحوة هذا النهار ، في مكان يقال له مراح يونس بقرب القرية ، أقبل من تلعة في الجهة الغربية حيوان أكبر قليلا من تيس الغنم في شكل وهيئة كلب كبير يمشي بخطى متثاقلة وئيدة ، يجر خلفه ذنبا طويلا وأذنان منتصبتان ولا يظهر اي اهتمام لا بالخطاب ولا بماعزه ، وظل يتقدم رويدا رويدا وكأنه ضيف يغشى فراشه ، والخطاب ينظر اليه متعجبا . أهذا هو الذئب الشرس الذي كثيرا ما حدثوه عنه ، ان هذا الحيوان وديع ربما لم يكن هذا هو الذئب .

ولم يثبت في ذهن الخطاب أن هذا هو الذئب حقيقة الا حينما رأى الماعز تعدو نافرة فاحصة وهي تنخط وترتعد من الخوف . والذئب ينقل عينيه وكأنه ابله بين الخطاب وبين الماعز ليختار ايهما اسهل فريسة . ولما أقر في نفسه ما يختار ، قفـز كالسهم واختار الجفرة الحواء فانقض عليها وأمسك بها من عنقها وغرز فيها انيابه ولاحها حتى استقرت على ظهره ، وانطلق بها الى الوادي في عقبة الميجور من حيث أتى .

ارتبك الخطاب ولم يدر ماذا يفعل وقد أربكته المفاجاة ونظر الى خنجره وقال في نفسه لماذا حملوني الخنجر اذا كنت لا ادافع به عن غنمي ؟ وذهبت عنه السكرة وجاءته الفكرة ، فاستل خنجره من جرابه واسرع يعدو خلف الذئب . لقد كان الطريق الذي سلكه الذئب في فراره بصيده طريقا وعرا منحدرا ، فجعل كلما خطا منحدرا سقطت الجفرة الحواء بين يديه فعرقلت خطاه ، فيعيدها مرة ثانية الى ظهره فما يخطو خطوتين منحدرا حتى تسقط الجفرة بين يديه فتعيق خطاه ويعيدها الى موضعها ، وتعقبه الخطاب حتى حاذاه فطعنه بالخنجر حتى غاصت في أمعائه وانطلق الخطاب فارا الى الخلف وأرخى الأطلس الجفرة الحواء وأسرع يجوح من آلامه . أما الجفرة الحواء فبدلا من ان تعدو خلف الخطاب ظلت تعدو خلف الذئب ، ولكنها لم تدركه فأسرع اليها الخطاب واعادها الى الرعوة بعد أن كسر قرنها . وجاء القصاص يقص أثر الدم الذي نزف من الذئب حتى وجده ميتا بباب جحره فانتزع منه الخنجر واعاده للخطاب .

## الخطاب يضرب عن رعي الغنم

بعد المعركة التي خاضها الخطاب مع الذئب ، قرر الاضراب التام عن رعي الغنم ولذلك فقد سرى مبكرا الى الخليل وذهب الى عمة له متزوجة من خليلي ، واختفى عندها ثلاثة أيام حتى أرسلوا العنزات الى راع بالاجر واستراح الخطاب من هذا الشقاء .



# الانكليـز فــي فلسطـين

١ ـ تحصيل الضرائب من القرى

٢ ـ اقامة محاكم العرف والعادة

٣ ـ كتاب حاكم المقاطعة الجنوبية بعد بحث سياسي

٤ ـ كتاب رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا

٥ ـ رسالة مكتب اللجنــة التنفيذية

٦ ـ أوسمـــة العبوديـة



مستر بيلي ، أول حاكم بريطاني
في الخليل ، وهو جلاد الشعب

## الجيش البريطاني يزحــف من بئر السبــع لاحتــــلال الخليــل

سمع سكان الخليل والقضاء بتحرك الجيش البريطاني بقيادة القائد اللنبي نحو الخليل فالفوا وفدا لاستقباله وعلى راس هذا الوفد الحاج سليم شنيتر وأخوه الحاج خليل شنيتر ومحمد شنيتر والشيخ توفيق طهبوب والشيخ مخلص جمور وحميدان كاتبه ورضوان صبيجة واجمد بيوض ووجهاء القرى ومخاتيرها وانتظر هذا الوفد الكبير على الحدود الفاصلة بين أراضي بئر السبع واراضي جبل الخليل في وادي المغير .

وصلت طلائع الجيش البريطاني تتقدمه سيارة القائد العام اللنبي وصافح الحاج سليم شنيتر وبعض المستقبلين ثم تقدم الوفد المستقبل الجيش البريطاني وساروا جتى دخلوا قرية الظاهرية وقد وقف الرجال والنساء والاطفال على جانبي الطريق يتفرجون على المستعمر الجديد ذوي الوجوه الشقراء والخدود الحمراء والعيون الزرقاء بالبستهم الزاهية وطبولهم الضاربة ومزيكتهم العازفـــة ورأوا جيشا نظيفا مرتبا حسن الملابس غـــير جيشهم التركي مهلهل الملابس كالـــح الوجوه من أثر الجـــوع والتعـــب .

## الاستقبــال فـــي الخليــــل

خرج الناس يتدافقون ليروا مستعمرهم الجديد الذين ظنوه يحمل لهم الخبز والرخاء والرفاهية والهناء ورقصوا وطبلوا وزمروا وما دروا ان هـــذا المستعمر الجديد حية رقطاء تظهر ناعمة ملساء وفي أنيابها السم النقيع القاتل وتحمل في جعبتها حية أخرى زعراء أشد سما وفتكا وقتلا ، تلك هي الصهيونية ، هدية بريطانيا للعالم العربي الذي رحب ببريطانيا كمنقذ للعرب والمسلمين من الحكم التركي واذا ببريطانيا تمثل قول الشـاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

## قــــوس النصــــر

اقام الشيخ توفيق طهبوب مأمور أوقاف الخليل قوس نصر عظيم امام دائرة الاوقاف في عين خير الدين وعليه صورة ضخمة كبيرة يزينها التاج البريطاني فــوق مفرقه وتزين صــدره الاوسمــة والنياشين والقلائد والجدلات ووزعت الحلوى والمرطبات والقهوة والشاي وتعاقب الخطباء نثرا وشعرا وتمجيدا للملك جورج الخامس وقائده الفاتح اللنبي وجيشه الباسل وبينما كان الطفل الخطاب يندس بين الصفوف ليحصل على قطعة من الحلوى اذا به يسمع الشيخ عارف الشريف يلقي بقصيدة عصماء يمدح فيها جلالة الملك جورج الخامس فحفظ هذا البيت مـن القصيدة :

جورج الخامس الذي ذكره علا  سفائنه تملأ البر والبحر والهوا

## الانكليـــز فـــي فلسطــين

لم يرم شعب في العصر الحديث بظلم وجور بمثل ما رمي به الشعب الفلسطيني وقد رماهم بهذا الحكومة البريطانية ، أحقر واحط وأظلم حكومة على وجه الارض .

لقد كنت لا ادري ما يعني الله بقوله : « قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق » حتى عرفت الحكومة البريطانية وأعمالها في فلسطين فعلمت انهم المعنيون بهذا القول الكريم .

ألم تر كيف فعلوا بكل أرض حلوها لقد نشروا فيها الفساد ، وبثوا بين أهلها الحسد والتفرقة ، وحركوا بينهم الشحناء ، واججوا في صدورهم نار العداوة والبغضاء .

وخير شاهد على سوء نيتهم وخبث طويتهم هو خططهم في تقسيم الهند الى هند وباكستان ، فالهندي يحارب المسلم والمسلم السني يحارب المسلم الشيعي . فتنة وحرب اسعروا نارها ، وشبوا جذوتها ، وزادوا اوارهـــا .

ثم انظر ما فعلوا بنا نحن الفلسطينيين ونحن الذين خلقنا وربينا في أراضينا لا نفرق بين أحد من رسله ، كما لا نفرق بين الاديان ، ولا

نفرق بين العناصر والاجناس نتقاسم نعيمها جميعا ، ونحتمل شقاءها جميعـــا .

حتى بعث الله لنا بالحكومة البريطانية الوسواس الخناس وهم قوم عاد العصر الحاضر الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد ، فارسل لهم الالمان في الحرب العالمية الثانية يصبون عليهم من طائراتهم سوط عذاب ، فدمرت المدن وابادت الكثيرين ، والبسهم الله لباس الجوع والخوف جزاء بما كانوا يصنعون .

وكل بلد دخله الانكليز لا بد أن ترى فيه اثرا لثعلبة ، وكانوا أثناء حكمهم لفلسطين ، لا يضعون خيلا للعربة التي يقودها المندوب السامي أو ما ينوب منابه الا أن تكون هذه الخيل غير أصيلة لا ترفس غير صاحبها ، وقد ورث الانكليز العربة للحكام الذين جاءوا بعدهم ، فاستبدل قائد العربة ولكن الخيل التي كانت تجر عربة بريطانية ظلت هي هي التي تجر عربة الحكام الجدد .

## اول عمل قامت به حكومة الاحتلال

الى مختارين واختيارية قرية الضاهرية

حيث تقرر تحصيل مبلغ الف ليرة مصرية فعليه متوجه لقريتكم أعضاء الادارة الحاج سليم شنيتر وبرفقته التحصيل دارية سعيد افف عمرو واحمد افف سلطان وابراهيم افف حمور لاجل تحصيل ........ وهو خمسماية ليرة مصرية وذلك عن اثمان الحبوب العائدة للمالية فعليه يلزم أن تجمعوا المال من اربابه بوجه العدالة بأسرع وقت وايراده لصندوق المال لذلك صار التاكيد عليكم

١٤ كانون ثاني سنة ١٩١٨

**حاكم الخليل**
امضاء الحاكم

كان الناس خارجين من الحرب لا يجدون لقمة الخبز يقتاتون بها واول عمل قامت به بريطانيا هي اهلاك الشعب بوضع ضرائب لا يستطيعون حملها وذلك تنفيذا لصك الانتداب وهو جعل البلاد فـــي ظروف اقتصادية سيئة ليبيعوا أرضهم لليهود .

## اقامة محاكم العرف والعادة في قضاء الخليل

ان تشكيل محاكم نظامية في قضاء الخليل يكلف الحكومة مبالغ طائلة ولذلك فقد أصدرت قانون محاكم العرف والعادة متخلية بذلك عن مسئولياتها القضائية تجاه الشعب الفلسطيني في لواء الخليل .

## لائحة تشكيل محاكم العرف والعادة وقضاتها

نظرا لوجود كثير من دعاوي الدم القديمة حسبما تبلغنا مرارا وبما أن هذه الدعاوي جرت على زمن الحكومة العثمانية قبل احتلال الجيش البريطاني البلاد فانها بقيت متروكة ولم ينظر فيها وبعضها نظر فيها وحكم اما بواسطة الحكومة السابقة أو متصرف مشايخ وقضاة العرف والعادة في البلاد ولكن هذه الاحكام لم تنفذ ولم يخرج الى حيز الفصل فبقيت على حالها بدون حل . ومن حيث ان بقاء مشاكل مثل هذه على حالها مما يوجب النفور والقلاقل بين الفريقين من ذوي القاتل والمقتول وبالنظر لهدوء الحالة الامنية وراحة الاهالي اصبح من اللازم فض المشاكل المنوه عنها بأقرب وقت حرصا على مصالح وخير الاهالي .

وعليه تقرر أن يتشكل لجنة خصوصية لهذ المهمة لكي تنظر وتدقق في هذه المسائل وتحلها بحسب عوائد البلاد والاهالي القديمة كالاتي :
ان اللجنة مؤلفة من عراف ومشايخ النواحي المختلفة ممن لهم سابق خبرة ومعرفة تامة بالعوائد وحسم هذه المشاكل واللجنة مؤلفة من ثمانية أشخاص أعضاء ورئيس وهم :

**اعضاء اللجنــة :** ــ الشيخ أحمد اسماعيل اللحام ، الشيخ شحادة أبو عرام ، الشيخ طلب عبد المجيد ، الشيخ عبد الفتاح العزة ، الشيخ عبد الفتاح خميس ، الشيخ محمد أحمد نصار ، الشيخ موسى سليمان المناصرة ، الشيخ ناجي العزة .

**رئيس اللجنــة :** ــ الحاج سليم حجازي .

ان هذه اللجنة تقسم الى فرقتين والرئيس المذكور يكون رئيسا للفرقتين وتتألف كل فرقة من أربعة أعضاء ، كما يأتي :

الفرقة الاولى : — تقوم بالدعاوي الخاصة في البلدان الواقعة في العرقوب والعزة ، واعضائها : الشيخ أحمد اسماعيل ، الشيخ عبدالفتاح العزة ، الشيخ عبد الفتاح خميس ، الشيخ ناجي العزة .

الفرقة الثانية : تقوم بالدعاوي الخاصة في البلدان التي تعرف بجبل الخليل ، واعضاؤها هم : الشيخ شحادة ابو عرام ، الشيخ طلب عبد المجيد ، الشيخ موسى سليمان المناصرة ، الشيخ محمد أحمد نصار .

ان الاستدعاآت والطلبات تقدم باسم الحاكم العسكري وهو يرسلها لحل الايجاب اما لهذا الطرف او لذاك .

يحق لكل واحدة من هاتين الفرقتين ان تطلب معاونة الفرقة الثانية عند اللزوم ولكن اصحاب الدعاوي ليس لهم حق او مداخلة في ذلك .

الاشخاص الذين لا يقبلوا الحكم الـذي تصدره اللجنة يمكنهم ان يستأنفوا الى الحاكم العسكري ويمضوا تعهدا بقبولهم قــرار اللجنة الاستئنافية بصورة قطعية . وعندها يؤلف الحاكم العسكري لجنـــة استئنافية كما يراه مناسبا والا فيكون استئنافهم للمحكمة الشرعية .

لكل واحد من المدعي والمدعى عليه الحق بأن يقدم دعواه والطريق الوحيدة لتقديمها هو أولا تقديمها للحاكم العسكري ولا يجوز أن يقدمها لأحد اعضاء اللجنة والحاكم العسكري حالما يصله الطلب يحوله حسب معرفته الى اللجنة المنوط بها .

ان دعاوي الدم التي جرت على زمن الاحتلال وفي مدة الحكومة الحاضرة فالنظر فيها عائد الى الحكومة فقط وعندما تخلص الحكومة من الدعوى وتحكم على الجانين في مثل هذه الحالة تعتبر الدعوى خالصة بتاتا غير أن ذلك لا يمنع طلب الدية ويحذر العموم على أنه بعد خلاص الدعوى وان تعدى أحد الفريقين على الاخر يعرض نفسه لاشد الجزاء

اللجنة لها الحق بأن تعين المكان والميعاد الذي يجب فيه حل كل دعـــوى تأتيهم حسب معرفتهم وكمـــا يرون مناسبا بالرجوع للحاكم العسكـــري .

حيث أن اللجنة تعينت منطرف الحاكم العسكري فالحكومة تصادق على حكمها وتنفذ كل قراراتها والحاكم العسكري يثق انه بأن القصد

هو العدالة والسلام في البلاد فانهم سيبذلون جهدهم لمساعدة هـــذا المشروع من كل وجه .

من تاريخ ١ كانون ثاني سنة ١٩١٩ تكون اللجنة مستعدة لسماع كل دعوى تقدم لها وكذلك المحكم العسكري يقبل الاستدعاءات ويقدمها الى اللجنة حسب ما يلزم .

**امضاء الحاكم**

## الانكليز باعوا البقرة (( فلسطين ))

جاء في كتاب حاكم المقاطعة الجنوبية للحاج سليم حجازي المؤرخ في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٢ عن تعيينه عضوا في لجنة تحسين أحوال المقاطعة ولكنه يحرم على أعضاء هذه اللجنة البحث في الوضع السياسي للبلاد .

حضرة الحاج سليم حجازي ، الخليل :

بالنظر لوجود مسائل متعددة تختص بمصالح اهالي المقاطعة والتي يهتم بها العموم فاني أرغب البحث معكم فيها مستفيدا من مشورتكم ومساعدتكم لذلك اقترح تشكيل لجنة تبحث في المواضيع العامة وذلك بقصد التوصل الى تحسين احوال المقاطعة وعليه ادعوكم حتى تشاركوني في هذا العمل بقبولكم العضوية في هذه اللجنة .

ان لجنة الخليل تجتمع في الخليل مرة في كل شهرين ، لا يشتمل البحث أي موضوع ( سياسي ) أو شخصي بل المسائل العامة لجمهور سكان المقاطعة فقط .

ولي وطيد الامل بأنكم تعضدون هذا المشروع ويسرني أن اسمع بقبولكم في الاشتراك .

**امضاء حاكم المقاطعة الجنوبية**

الرد على هذه يقدم لحضرة قائمقام الخليل

١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٢

## الصنـــم المعبـــود

سيدي القارىء اني آسف أن أقدم لك صورة مخجلة عن فترة مظلمة من نضالنا دفعتنا اليه العصبية العائلية المقيتة ، وحب الظهور والنفخة والاستعلاء على خصومنا في القرية ، وخصومنا في الحزب ، وخصومنا في القبيلة ، ومناوئينا في المبدأ . والمختلفين معنا في المذهب والتفسير . ويجلس الاعداء الزعيم منا على عرش ظاهره الاجلال والفخامة والاعظام وباطنه الذل والخزي والعار ، ورب قائل يقول ، ولماذا ننشر غسيلنا الوسخ على الحبال ؟

لقد ظللنا ردحا طويلا من الزمان نخفي عيوب العائبين ، ونتستر على خيانة الخائنين حتى أصبحت الرذيلة عندنا هي الفضيلة ، وصار الارذال منا يقفون على المنابـر يفاخرون ويباهون برذائلهم ، وسكت الناس عن قول الحق حتى أصبح كل واحد شيطانا أخرس لانه ساكت عن قول الحق .

اننا لا نعتبر بالزعماء الاصنام الذين صنعهم لنا الاستعمار ووضعوا في أيديهم سلطات رخيصة ثم أمرونا بعبادتهم والسير خلفهم ، حتى اذا راى الاستعمار صنما من هذه الالهة التي صنعوها يخرج عن طاعتهم ولو بمثقال ذرة ، أو انحرافا عن طريق الخيانة والعمالة التي اختطوها له ولو بقيراط ، وعندها يحطمون هذا الصنم المعبود ، ويبقون العابدين بلا صنم اله حائرين حتى يصنعوا لهم صنما الها جديدا ينعقون خلفه .

## اوسمـــة العبوديـــة

هذا الوسام الذي سنتحدث عنه وغيره من الاوسمة التي يمنحها ملك بريطانيا ورؤساء جميع الدول المستعمرة لزعماء المستعمرات ما هي الا أوسمة العار لحامليها .

واني لاترك للرسائل الموجهة لحامل هذا الوسام ، فهي التي تتحدث وتشرح حقيقة هذه الاوسمة التي كان أصحابها يحملونها على صدورهم ، مفتخرين بها في المناسبات ، ويعلقونها في صدر المكان من البيت ليعرف الداخل مقام ومنزلة حامل الوسام .

دار الحكومة ، القدس في ١٧ أيار سنة ١٩٢٣

جناب الوجيه المبجل الحاج سليم افف شنيتر الافخم

قد أمرني فخامة المندوب السامي ان احيطكم علما بأن فخامته يتشرف بالنيابة عن جلالة الملك بتقليدكم وسام الامبراطورية البريطانية العالي الشأن من درجة عضو الذي تلطف جلالته فأنعم عليكم بـــه بمناسبة العام الجديد .

وسيقلدكم فخامته هذا الوسام في الحفلة التي يقيمها حاكم لواء القدس في حديقة البلدية في اليوم الثاني من شهر جزيران سنة ١٩٢٣ الساعة الرابعة مساء واني اكون ممتنا اذا تكرمتم بمقابلة الكابتن آرثر كاست في سراي حاكم القدس حال وصولكم الى القدس وباعلامي عما اذا كان في امكانكم حضور هذه الحفلة في الموعد المعين .

واقبلوا فائق الاحترام

الامضاء : **السكرتير العام**

حاكم المقاطعة الجنوبية غزة

١٢ حزيران سنة ١٩٢٣ .

حضرة الحاج سليم الحجازي المحترم ، بواسطة قائمقام الخليل :

أسر جدا لأقدم لحضرتكم الكتاب الملوكي الوارد من صاحب الجلالة البريطانية الذي ينعم عليكم بعضوية الامبراطورية البريطانية الفخيمة ، راجيا منكم الاشعار باستلامه .

واقبلوا فائق الاحترام

امضاء : **حاكم المقاطعة الجنوبية**

مكتب المندوب السامي ، القدس الشريف

جناب سليم افف حجازي المجترم ، الخليل :

أسر جدا ان اعلمكم ان جلالة الملك جورج الخامس قد انعم عليكم

ووهبكم وسام عضوا فخريا بأحسن نظام الامبراطورية البريطانية .
أقدم تهنئتي لجنابكم لتحصيلكم هذه الهبة الممتازة

٢ ك سنة ١٩٢٣

**المندوب السامي**
**هربرت صموئيل**

اتدري ماذا فعلوا بالحاج سليم شنيتر بعد هذا التعظيم والتبجيل ؟
لقد حبسوه أسبوعا لانه لم يدفع ضريبة تعداد اغنام الثلاث عنزات وتعداد العنز خمسة واربعون مليما أي ما يساوي ثلاثة عشر قرشا ونصف القرش ورفضوا منه دفع جزاء الف جنيه وقضى أسبوعا في السجن مع المجرمين وبذلك غيبوا شمسه . ولم يتعلم ابنه اسماعيل حجازي بما فعله الانكليز بأبيه فجاء يدعو لهم بالنصر فقال :
عرف الوفاء قديما في دياركم يا بل نرجو انتصارا لحلفكم مصمئل

## رسالة مكتب اللجنة التنفيذية العربية العدد ٣٠

القدس ، ١٧ شباط ١٩٢٢ ، أولا :

١ — تحققنا بملء الإسف والاستغراب أن يد الخيانة تتناول ما نثبته في هذه الرسائل وتنقله للحكومة بصورة مشوهة مغلوطة من ذلك انهم نقلوا اليها ما نشرناه عن المحادثة التي جرت بين حضرة النائب العام والسكرتير القضائي في أمر الغاء وظيفة النائب العام وأحكام حادثة ٢ نوفمبر بصورة مغلوطة ومشوهة وليس لنا في هذا الشأن الا أن نهنىء الحكومة على وجود دائرة منظمة فيها كدائرة الاستخبارات وتأمل أن تنظم الدوائر النافعة كما نظمت هذه الدائرة السافلة المضرة .

٢ — يزور المستر ماكدونالد رئيس حزب العمال سابقا ومن قادة الراي العام في انكلترا حيفا يوم الاثنين أو الثلاثاء القادم وتقابله هناك الجمعية كي تعرض عليه قضية الامة ويرجع للقدس يوم الاربعاء ، وتقوم جمعية القدس بهذا العمل ههنا أيضا .

٣ — يزور اللورد اليسلي نجل صاحبة المورننغ بوست فلسطين في أواخر الشهر المقبل وترى اللجنة التنفيذية أن تدعوه لزيارة هذه البلاد

على نفقة الامة اعترافا بفضله على البلاد لمواقفه العديمة المنال .

٤ ـ ابرقت اللجنة التنفيذية للوفد في طلب صك الدستور الجديد لعرضه على الامة الفلسطينية .

٥ ـ بلغ عدد مهاجري اليهود في الستة الاشهر الماضية ستة آلاف وعليه فالهجرة ازدادت هذه السنة عن السنة الماضية .

٦ ـ اتصل بنا أن الحكومة في حيفا ضبطت من اليهود في هذا الاسبوع ٣٧ مسدسا وبارودة ماوزر والفي خرطوشة .

٧ ـ قررت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني اعداد المعدات لعقد المؤتمر الثاني في المدينة التي تعقد فيها جمعية الامم اجتماعها المقبل وان ترسل دعوة بذلك لجميع الاحزاب في سوريا وفلسطين ولبنان وان ترسل وفدا الى جنوه لمواصلة المساعي الوطنية أثناء انعقاد المؤتمر الدولي فيها .

٨ ـ قابلت هيئة اليهود الاورثوذكسي التي نفضت يديها من الصهيونية السير ماكدونالد وأبانت له مضار الصهيونية كما فعلت أمام اللورد نورثكلف وصرح الحاخام الاكبر أن هذه الهيئة قابلت اللورد والسر بايعاز منه وبرضاه وقرر تلامذة صفوف الحقوق اليهود عدم حضور محاضرات البروفسور دهان الذي كان هو أحد افراد هذه الهيئة في المرتين .

٩ ـ يظهر الصهيونيون الوطنيون شماتة بذلك الانقسام لانهم طالما نبهوا الجمعية الصهيونية الى وجوب كونها منهم وهناك مضابط تمضى من اليهود طالبة اسقاط داود بيلين وجمعيته اليهودية في القدس من عيد النبي موسى المقبل وهم لا يقبلون التطمين ولا يرغبون في سماعه .

**الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا**

**٢٨٧**

حضرة رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية بالخليل المحترم

ان جمعية يافا الاسلامية المسيحية احتجت على الحكومة بسبب ما ورد بجريدة الكرمل ، وتأيد بتبليغ حاكم غزة لاهاليها من تشكيل مستودعات في المستعمرات اليهودية لوضع الاسلحة تحت يد اليهود لاستعمالها ضد الوطنيين عند اللزوم وهذا الامر احدث تاثيرا مهما في

قلوب الوطنيين ، والامر بحد ذاته مخالف للقانون ولكل عدالة ، واليهود انفسهم أثناء الثورة استعملوا سلاح الحكومة والعسكر منهم ترك معسكره واشترك في الثورة وبالاقتصار على مثل هذه الاحتجاجات من يافا فقط لا يقوم بالمقصود ولا يؤثر تأثير اللازم بالمصلحة فنرجوكم الاشتراك معنا بعمل احتجاج شديد في هذا الشأن وتعريفنا تاريخ تسليمه للحكومة .

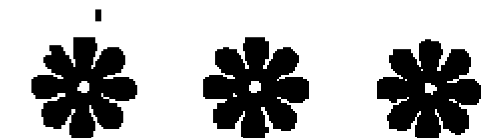
وبالختام اقبلوا فائق احترامنا

٩ تموز سنة ١٩٢١ ختم الجمعية

الامضاء : **رئيس الجمعية الاسلامية**

منذ وطئت بريطانيا أرض فلسطين تحمل في طيات ردائها أفعى الصهيونية ، والشعب الفلسطيني ، يصرخ ويطلب القانون والعدل ، ولكن هل لحكومة يحمل قائدها في عقله تعصب الحروب الصليبية الاعمى المقيت فيقول عند فتحه القدس : اليوم انتهت الحروب الصليبية . فهل يرجى من مثل هذه الحكومة قانون وعدل ؟!

ان طريق تحرير الشعوب واضح وبين ، وان الامام عليا كرم الله وجهه كان يعني مسلمي وعرب هذا العصر حين قال : « والله ان امرءا يمكن عدوه من نفسه لضعيف ، ما ضمت عليه جوانح صدره ، أنت فكن ذاك ان شئت أما أنا فوالله دون ذلك ضرب بالمشرفية تطير له فراش الهام ، وتطيح السواعد والاقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء » .



# الخطاب فـي مدرسة القريـة

## استاذ مدرسة القرية الوحيد سنة ١٩١٨ — ١٩١٩

## الشيـخ عثمـان مرقـــه

قال الخطاب : كان دوامنا في المدرسة مرتبط بحضور سيدنا الشيخ فان حضر مبكرا بدأ الدوام مبكرا وان حضر متأخرا بدأ الدوام متأخرا . يجلس الطلاب على الحصيرة في قبو من أقبية جامع النبي يونس . طريقة التدريس : يجلس الطلاب على الحصيرة متربعين في صفوف كصفوف المصلين .

وسائل الايضاح : سبورة ؛ وطبشورة ومؤشر يكتب الشيخ الدرس على السبورة وهو قسم من حروف الهجاء يبدأ الشيخ في قراءة الحروف حرفا حرفا مرة واحدة .

يردد الطلاب خلف الاستاذ مـا يقوله في موسيقى ونغم موحد . يتولى العريف مهمة سيدة الشيخ لمرة أو مرتين حتـى يضبط النغم والموسيقى . يترك الشيخ المدرسة في عهدة العريف ويذهب الى القرية لقضاء مصالحه . يعود الشيخ بعد الغداء ليكتب على لوح من تنك سورة جديدة لمن يعلم عليهم العريف أنهم حافظون .
والعرفاء نوعان : ( عريف التحفيظ وعريف التسميع ) وعريف لحفظ النظـــام .

وظيفة عريف التحفيظ : يظل عريف التحفيظ من الصباح الباكر الى المساء يردد كالببغاء ما لقنه اياه الاستاذ في الصباح .

عريف التسميع : يسمع هذا العريف ما كتبه الشيخ على لوح التنك من سور القرآن الكريم .

عريف حفظ النظام : يقف هذا العريف في مؤخرة الطلاب يراقب

حركات وكلمات الطلاب من الخلف فاذا أدار طالب رأسه يمينا أو يسارا، يسارع عريف حفظ النظام فيكتب اسمه على السبورة وعندها يسرع الجاني الى الحائط المقابل فيدير وجهه الى الحائط . فاذا عمل مخالفة ثانية اثناء وقوفه يسارع العريف فيمسك بيده اليمنى فيرفعها الطالب الى أعلى فاذا أعاد هذا الطالب المخالفة ثانية ترفع الى اعلى يده الثانية واذا أعاد المخالفة مرة ثالثة ترفع رجله اليسرى .

والقصاص نوعان : قصاص لمخالفي النظام ، وقصاص للمقصرين في الحفظ والمسئول عن هؤلاء عريف التسميع . أدوات القصاص : فلقة : والفلقة عصا من البلوط مثقوبة من طرفيها يدخل في الثقب حبل امراس الكتان ، تدخل فيه رجلا المعاقب ويلف الحبل عليهما ، ويمسك بطرفي الفلقة ولدان من الاقوياء الاشداء ويجثم على صدره طالبان قويان. يكون عند الشيخ رزمة من مطارق الرمان أو البلوط أو البطم يجمعها الطلاب للشيخ . يمسك الشيخ بواحدة من هذه العصي ويظل الشيخ يجلد هذه الضحية بعدد الجلدات التي حكم بها والطلاب من حوله ينشدون حتى لا يسمع أحد من الخارج فيسرع لنجدته .

أدوات الدراسة : لوح من التنك الابيض يكتب عليه الشيخ درس الطالب من آيات القرآن الكريم التي يجب عليه حفظها ومتى حفظ الطالب ما كتبه الشيخ محاه الطالب وكتب له الشيخ درسا أو لوحا جديدا . وطول هذا اللوح من أربعين الى خمس ين سنتيمتر بعرض من عشرين الى ثلاثين سم .

١ ـ أسلوب التدريس : تكتب خمسة أو ستة أحرف من حروف الهجاء ويظل أولا الشيخ يرددها بأسمائها أ أليف ، ب باء ، ت تاء ، ث ثاء ، ج جيم ، ح حاء ، خ خاء .. الخ الى أن يحفظها جميع الطلاب وقد تحمل من الوقت من شهرين الى ثلاثة اشهر حسب مقدرة العريف .

٢ ـ تحفيظ الحروف بأوصافها :

أ أليف لا شين عليها ب والباء وحده من تحتيها ت والتاء ثنتين من فوقيها والثاء ثلاثة من فوقيها ج والجيم وحده من جواها خ والحاء لا شين عليها خ والخاء وحده من فوقيها الى آخره وتحتمل هذه العملية هي الاخرى شهرين .

٣ ـ تعليم الحروف بحسب وقوعها في الكلمة :

أ ، اليف أول كلمة ا اليف وسط كلمة . بـ باء اول كلمة بـ باء وسط كلمة ب باء آخر كلمة الخ . والمقصود بالوحدة من فوقيها والوحدة من تحتيها هي النقط على الحروف . وهكذا حتى تنتهي جميع الحروف وتستغرق هذه العملية شهرا او اكثر .

## الطـالـب والجـريمـة

كان الشيخ يجلس على مصطبة تعلو عن الطلاب من خمسين الى سبعين سنتمتر ، وتكون الى جانبه حزمة من العصي ، فيبدأ بعقاب الضحية حيث يتناول عصا بعد عصا حتى تتكسر عدة عصي ، تقل وتزيد بحسب الجريمة المنسوبة اليه ، ويا ويل الطالب الذي يذهب الى اهله والدم يسيل من قدميه ، فبدلا من أن يرثي الاهل لحاله ، ينهال عليه جميع من في البيت هزءا وسخرية ، بين ركل بالارجل ، وصفع بالايدي ويقولون له لو لم تأت أمرا عظيما لما حل بك هذا العقاب .

وعندما يعود الوالد في المساء ، ويلقي نظرة على الضحية الممددة في الفراش ، فبدلا من أن يواسيه ويخفف عنه مصيبته يبدأ في النصائح : ( العصا من الجنة ، لولا العصا ما عرفت ربي ، العصا لمن عصا ) وتنزل هذه الكلمات على الطالب المسكين أشـد من الصاعقة ونفسه تتقطع من الم الجروح ، ويتمنى لو يستطيع طحن الشيخ ومن في الدار جميعا بين فكيه .

وكان منظر الفلقة المعلقة في مسمار على الحائط بجانب الشيخ الشبح الرهيب والحلم المزعج الذي يراود الاطفال في الليل . انهـا لساعة رهيبة حين يقف الطالب المسكين امام الشيخ ليحاكم على ذنب بسيط فاذا قال الشيخ برطانة تركية ( فلقة غتر ) أي أحضروا الفلقة ، عندها ينهار الطالب ويخر على الارض مغشيا عليه وكم منهم من سلح من شدة الخوف ولكن لا شيء يحمي الطالب من العقاب حتى لا تذهب هيبة الشيخ . واليك قصة عن حادثة من حوادث هذا العقاب الاجرامي :

أحضر مرة طالب اسمه يونس عبد الرزاق ليعاقب امام الشيخ على

ذنب ارتكبه فلما نطق الشيخ ( فلقة غتر ) جحظت عينا الطالب وتلفت حواليه وتصور العصي تتعاقب على اخمصيه والدم ينزف من جروحه ، فادار ظهره وولى هاربا .

بهت الشيخ لهذا الحادث ، اذ إنه لاول مـــرة يكسر فيها عصا الطاعة . فكر الشيخ ثم عبس ووقف على رجليه ، وقطب جبينه ثم أصدر أمره كلمة واحدة ( هاتوه ) فتطاير الطلاب من حول الشيخ كأفراخ الشنار يطاردها سنور .

## الشيـــخ يديـــــر المعركـــــة

وتبعهم الشيخ فلم يجدوا للفار أي اثر . وقف الشيخ بباب المدرسة ثم سرح ببصره بعيدا في الافق البعيد وأجال بصره في كل الاركان المحيطة به ، وكأنه قائد عظيم يدير معركة فاصلة في التاريخ .

قسم الاطفال الى فرق أربعة ، ووضع على راس كل فرقة قائدا وأمر بأن يسير كل فريق الى جهة من الجهات الاربع ، وكانت أوامـــر القائد صارمة بالقبض على المجرم الفار .

توجه كل فريق الى الجهة التي أوكله بها الشيخ يعدون كالمردة لينفذوا أمر الشيخ ، لا حبا في سيدهم الشيخ ولا بغضا للطريدة ولكنها فرصة مواتية يتخلصون فيها من سجن الشيخ .

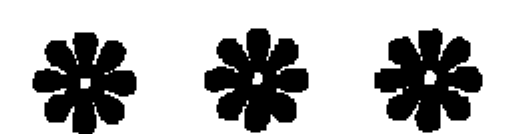
## معركــــــة خلـــة الزماعــــرة

التقى الفريق الذي اتجه الى الشمال مع المطلوب القبض عليـــه ودارت بين الفريقين معركة غير متكافئة . فالمطارد فرد واحد والمطاردون في مكان المعركة عشرة . غير أن الطاردين ينفذون أمرا للشيخ لا يؤمنون بدوافعه ، والطريد يقاتل من موقع اليأس .

الارض التي دارت عليها المعركة حبائل يعلو بعضها فوق بعض وبدأ التراشق بالحجارة بين المهاجمين والطريدة يونس فلما اقتربوا منه وكادوا يقبضون عليه فر منهم وانتقل الى الحبلة الثانية ، واتخذ له مركزا استراتيجيا وبدأ يدافع عنه ، وهكذا ظل يدافع عن مواقعه حبلة حبلة حتى غابت الشمس .

وتقرر الشيخ الذهاب الى بلدة الخليل عندما رأى الشمس قد قاربت على المغيب ، وفي نفسه حسرة ، وفي قلبه صدمة ، لانه لم يبلغ وطره . وباتت فلقة الشيخ من غير أن تفك العشمة وتحصل على العشوة .

والحقيقة أن هذا الشيخ أفضل من المشائخ الذين سبقوه فقد كان من سبقوه يقسمون الطلاب على أشغال البيت مثل تنقية الزوان من القمح وملء الزير بالماء من البئر ، وحش الحشيش للحمير .



# الخطاب في مدرسة المدينة

**معلمو مدرسة الخليل الثانوية سنة ١٩٢٥ – ١٩٢٦ :**

**الاستاذ مصطفى الدباغ مدير المدرسة ، الشيخ محمود سرداح مدرس الدين ، الاستاذ توفيق ابو السعود مدرس اللغة العربية ، الإستاذ وديع الخوري مدرس اللغة الانكليزية ، الاستاذ يوسف الحموري مدرس الرياضيات ، الاستاذ مصطفى الدباغ مدرس التاريخ والجغرافيا والطبيعيات**

---

## الخطاب في مدرسة المدينة

في عام ١٩٢٣م انهى الخطاب دراسته في القرية وانتقل الى المدينة كان التعليم في المدينة اتعب واشق من التعليم في الجامعات في الوقت الحاضر فقد كان عليه ان يقطع في اليوم اثني عشر كيلو مترا ذهابا وايابا من قريته الى المدينة مشيا على الاقدام وكان لا يملأ الا نصف معدته من الطعام ، ولا يجد من اللباس ما يحميه من الحر ولا ما يحميه من القر .

وكان اذا اشتد البرد يسخو على اقدامه أن يمزقها البرد ولا يسخو على حذائه ان يتمزق . وكان دائم الدعاء لصاحب الحمام المجاور للمدرسة كي يسمح له بأن يجفف ثيابه اذا بللها المطر وكثيرا ما كان يحدث ذلك .

## العمل اثناء العطلة الصيفية

كان لا بد للخطاب ان يعمل في العطلة الصيفية ليغطي نفقاته أثناء المدرسة والعائلة كانت كبيرة جدا ولا يعمل فيها الا فرد واحد .

واي عمل سيقوم به هذا الضعيف ؟ لقد اختار تجارة الحصن من الحلوى والكعكبان يجلس بها في الخلاء على طريق الرجادات ، فيشتري منه الاولاد الذين يمزون به بغمر من الزرع الذي يحمله على دابته ، يسله من حمل دابته ، ويجب علي كل ولد او بنت أن يشتري ، احب أم كره ، وكان الخطاب يساعد هؤلاء على سل الزرع من الاحمال .

لقد درت هذه التجارة على الخطاب ارباحا طيبة وصار له جرنا اكبر من كثير من المزارعين ، ولكن ما الفائدة لقد كان اخوه الكبير بعد أن يصلب الصليبية يسلبه كل حبة بحجة أنه يأكل من الدار .

لقد غير الخطاب التجارة من بيع الزرع الى بيع بالمقايضة بالحبوب عن البيادر وزاد من بضاعته فوق الملبس والحلقوم ، البطيخ والقثاء والخيار . وتقاطر عليه لصوص البيادر في الليل يبيعهم البطيخة الصغيرة بصاع من القمح أو الشعير ، فانهالت الحبوب عليه أكياسا متلاحقة ، استأجر لها غرفة يصب الحب فيها من روزنتها ، من ثقب في أعلاها ، واغلق الباب ، وعلق المفتاح في حزامه ، وما علم أن قريبا صنع عند الحداد مفتاحا كمفتاح المخزن ، وكان الخطاب يصب الحب من أعلى الغرفة ، والقريب ينقله من الباب فلما انتهت العطلة الصيفية ، كانت خسارته في التجارة ثلاثة جنيهات فلسطينية .

## الخطـــاب يتاجـــر بجحش

عندما تمحل السنة ، يتخلص الفلاحون من جحاشهم ، لان الجحش الرضيع ، يضعف أمه ولا يقدرون على اشباع الام فيتخلصون من الجحش بذبحه ، أو تركه في الخلاء لتأكله الوحوش .

اشترى الخطاب جحشا من هـــذه الجحاش التي يـــود أصحابها التخلص منها بقرشين ، وجعل يطعمه في الصيف من أوراق الشجـــر الجافة ، ومن نخالة الدار .

اقبل الربيع واخصبت الارض فجمع الخطاب الحشيش من كل مكان ، واصبح الجحش حمارا قويا فارها ، جعل يركبه ويذهب به الى المدرسة ، دخلت العطلة الصيفية ، ومن أين للخطاب برأس مال ، وقد تخلف عليه دين ثلاثة جنيهات في العام الماضي ، واذن فما العمل ؟

العمل أن يبيع الخطاب الجحش ويشتري بثمنه حصنا من الحلوى يتاجر بها .

لكن اخاه الكبير منعه من ذلك بحجة أن الجحش كان يأكل نخالة الدار . واغلق الباب على الحمار ، انه لظلم فاحش ، يستعمله القوي ليأكل حق الضعيف ، ولا يستطيع الخطاب أن يحصل على حقه في حماره الذي رباه وسهر عليه الليالي يطعمه ويسقيه ، والان يسلب منه حماره بدون حق .

| | |
|---|---|
| **والظلم من شيم النفوس** | **فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم** |
| **وظلم ذوي القربى اشد مضاضة** | **على المرء من وقع الحسام المهند** |

لا بد من الحيلة . للبيت باب علوي غير الباب السفلي . ولا سبيل لاخراج الحمار من الباب العلوي ، لان هناك درجا لا بد أن يرقاه الحمار حتى يصل الى الباب العلوي .. وكيف يرقى الحمار الى الباب العلوي ؟ قال الخطاب لا بد أن يكون هناك مساعد يساعدني على اصعاده ، ومن يكون هذا المساعد ؟ انه أخي الاصغر مني .

لكنه يخاف من عقاب الاخ الكبير ان هو ساعدني . وأنا لا بد أن أخرج الحمار من البيت . ولماذا لا أمارس السلطة على أخي الصغير ، تلك السلطة التي يمارسها اخي الكبير ضدي : هيا يا أخي وساعدني في اصعاد الحمار الى المصطبة . ورفض اخي الصغير مساعدتي فأوقعت عليه العقوبة ، وعندها وافق على المساعدة ولكنه لجأ الى الغش في المساعدة .

انه غير مكلف الا بامساك الحمار من أذنيه ليحفظ توازنه ، حتى لا ينقلب . أمسكت اخي أذني الحمار ، ووضعت مؤخرته على كتفي ، وما عليه الا أن يحفظ توازنه ، حتى لا ينقلب ، وجعلت أصعد به درجة درجة والجحش على كتفي ، فلما وصلت الى الدرجة الرابعة ، أفلت اخي أذنيه فاختل توازنه وسقط . أعدت العقاب وأعدت حمل الجحش ، وفي المرة الرابعة نجحت الخطة .

## السرى الى بيت لحم

قال الخطاب : لم تعد قريتنا تسعني وتتسع الجحش لان عقاب سيكون شديدا ولما أذن المؤذن آذان العشاء ، ركبت الحمار الى بيت لحم فوصلتها بعد منتصف الليل .

ربطت الجحش باب دار اخي الشرطي ، وقلت لهم امهلوني حتى يأتي سوق الدواب في بيت لحم فأبيعه ، واسددكم ديوني .

قالت امراة أخيه هل أدلك يا خطاب علي تجارة رابحة ، قلت لها أكون ممتنا لك يا امراة أخي .

قالت امراة أخيه : ان هذه السنة كانت جافة فلم ينزل المطر ولم تمتليء آبار بيت لحم .

قال الخطاب وما علاقتي بالامر ؟

قالت : تعمل سقاء علي حمارك .

## الخطاب يعمل سقاء

استقرض الخطاب من امرأة أخيه ثمن حلس للحمار ، وثمن أربع تنكات فارغة ، وجعل يجلب الماء من قرية ارطاس ، الى بيت لحم فيبيع التنكة بقرش ونصف ، وهذا سعر خيالي .

كان يذهب الى عين ارطاس من الفجر ويعود في آخر نقلة بعد العشاء . وكانت امرأة أخيه تأخذ منه حملا في اليوم بدل منامه ، ويأكل هو والجحش بثمن حمل ، ويدخر ثمن حملين . وكان ما ادخره خلال العطلة الصيفية اربعة جنيهات فلسطينية ، وباع الجحش بثلاثة جنيهات ، وعاد الى القرية مزهوا بسبعة جنيهات .

ولما وضع أول قدم في القرية استقبله أخوه ، وكان له ثار عنده ، لانه فر بالحمار ، وأخذ منه السبعة جنيهات ، ولم يترك له القرشين ( رأس المال ) اللذين اشترى بهما الجحش .

## معركــــة مــع رجــال اللاهــــوت

كان الخطاب عائدا من المدرسة بعد العشاء ، وفي موقع جـــورة
مس التقى باربعة عشر شابا من رجال اللاهوت في الخليل ، وكانوا
ستأجروا دار عبد المعطي الخطيب ، ولما رأوه غلاما منفردا طمعوا
، أن يقتلوه فعملوا عليه طوقا ، أرادوا أن يحصروه فيه .

لما رأى الخطاب الغدر في عيونهم ، قفز من بينهم ، وارتقى رجما
الحجارة ، وظل يرميهم ، ولان الخطاب رعى الغنم وقتل الذئب ،
اصبح ذا خبرة في قذف الحجارة ، فتقدم منه أغلظهم رقبة ، فقذفه
نطاب بحجر في جبينه فشجه . وهكذا ظل يرميهم واحدا تلو الاخر ،
كثرت بهم الاصابات ، ولوا الادبار ، ولم يكتف الخطاب بهزيمتهم ،
لاحقهم وهم يركضون كالحمر المستنفرة ، وهو يلتقط الحجارة من
جدران ويرميهم بها حتى اوصلهم الى مدخل المدينة .

وعاذ الى قريته . وفي الصباح خاف العودة من الطريق العام ،
تقبض عليه الحكومة ، فذهب الى المدرسة من رؤوس الجبال ، وظلت
هذه طريقه ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع جاءوا مع البوليس ، وتعرفوا
عليه فاستاقته الشرطة الى دائرة الحاكم بيلي فحاكمه محاكمة صورية
مع أن الدنيا ظلام . لانه الطالب الذي يذهب الى حلحول وتنطبق عليه
اوصافه . الحكم : حكمه مستر بيلي اربعة عشر جلـــدة ، واستاقه
البوليس توفيق السراج وأربعة جنود آخرين ، ومعهم الحاكم مستر
بيلي ودعوا مدير المدرسة مصطفى الدباغ ، فقرع الجرس ، وكانت
المدرسة الرشدية التي سميت فيما بعد المدرسة الابراهيمية ، علـــى
الجانب الشرقي من بركة السلطان ، واجتمع الطلاب جميعا في بهـــو
المدرسة الكبير وجيء بالخطاب في منتصف القاعة ، وأضجعوه على بطنه ،
ورفعوا الثياب عن مؤخرته ولم يبقوا عليه ساترة الا سرواله الرقيق
وبدأ الشرطي يجلد بعصا من خيزران وقد أوصاه بيلي أن يجلد بقسوة
غير أن الخطاب تجلد .

**وتجلدي للشامتين اريهم * اني لريب الدهر لا اتضعضع**

وغضب بيلي لان الخطاب عض على اسنانه ولم يظهر اي تأوه

او توجع فصاح بالبوليس بأعلى صوته : اضرب ، اضرب . وضرب ، وضرب ولكن الخطاب وكما يقول المثل ( حس اطبول في اسطنبول ) وعندها اشتد غضب بيلي أكثر فأكثر فأخذ الخيزرانة وصب كل مـا في قلبه من حقد المستعمرين حتى انتهت الاربع عشرة جلدة .

وقف الخطاب أمام بيلي وقال له :

ــ أهذه المدنية التي جئتم تعلموننا اياها ؟!!! لذيكم جمعيات الرفق بالحيوان وجمعيات القسوة على الانسان .

## الخطاب ادمـن على الجلـــد

بعد هذا الحادث بشهرين حل يوم ٢ نوفمبر من سنة ١٩٢٥ فخرج الطلاب والاهالي في مظاهرة صاخبة احتجاجا على وعد بلفور وطاف الطلاب أنحاء البلد وبعد أن انحل عقد المظاهرة وبدأ الناس يعودون الى بيوتهم قبضت الشرطة على طالبين من صف الخطاب ممن اشتركوا في المظاهرة أحدهما رشاد الخطيب وقد عاد الطلاب الى بيوتهم فكيف نجمعهم لنخرج المحبوس ؟ .

سار الخطاب الى دار عبد الخالق يغمور وتجمع أولاد الصف ثم صعدوا الى جبل بيلون وجمعوا كومة كبيرة من الحطب وأشعلوا فيها النيران التي ارتفعت الى عنـــان السماء وجعلوا ينشدون الاناشيد الوطنيـــة :

**يــا ظــلام السجـــن خيــم  انــا نهـــوى الظلامــا**

فتجمع حوالي مائة طالب ساروا في مظاهرة من الجبل الى السجن يطلبون اخلاء سبيل رفاقهم . فخرج لهم الضابط مصطفى الشلبي وقال : نريد وفدا منكم نفاوضه لاطلاق سراح المساجين .

قال الخطاب : فانتخبنا منا اربعة كنت أحدهم وكان مركز البوليس في ذلك الوقت في مكان مدرسة اسامة بن منقذ الحالية ولما دخلنا الى غرفة الضابط وجدنا هناك المستر ( فرل ) مساعد مدير المعارف الذي خاطبنا بكل غلظة وأحضر المساجين الاول وأضفنا اليهم وجعل الشرطة

يجلدوننا كل واحد عشر جلدات على المنضدة على مؤخراتنا .

ثم اطلقوا سبيلنا جميعا وخرجنا ننشد على ضوء القمر الاناشيد الوطنية . وفي الصباح جاء المستر فرل الى المدرسة واختار عشرة طلاب آخرين وجلدونا جميعا كل واحد عشر جلدات ونحن لا ننفك ننشد الاناشيد الوطنية من تحت سياط الجلادين .

وما أشبه الليلة بالبارحة غير أن السوط اليوم استبدل بالرصاصة .

## الكشاف المتجول ( رحلة كشفية )

وصل من حضرة السيد عمر عثماني احمد

اعضاء الكشافة العربية رسم

شهري تشرين اول وتشرين ثاني

ولهذا اعطي هذا الوصل مضياً

٣/١٢/٩٢٦

مؤسس ورئيس الكشافة العربية

الاستاذ درويش المقدادي

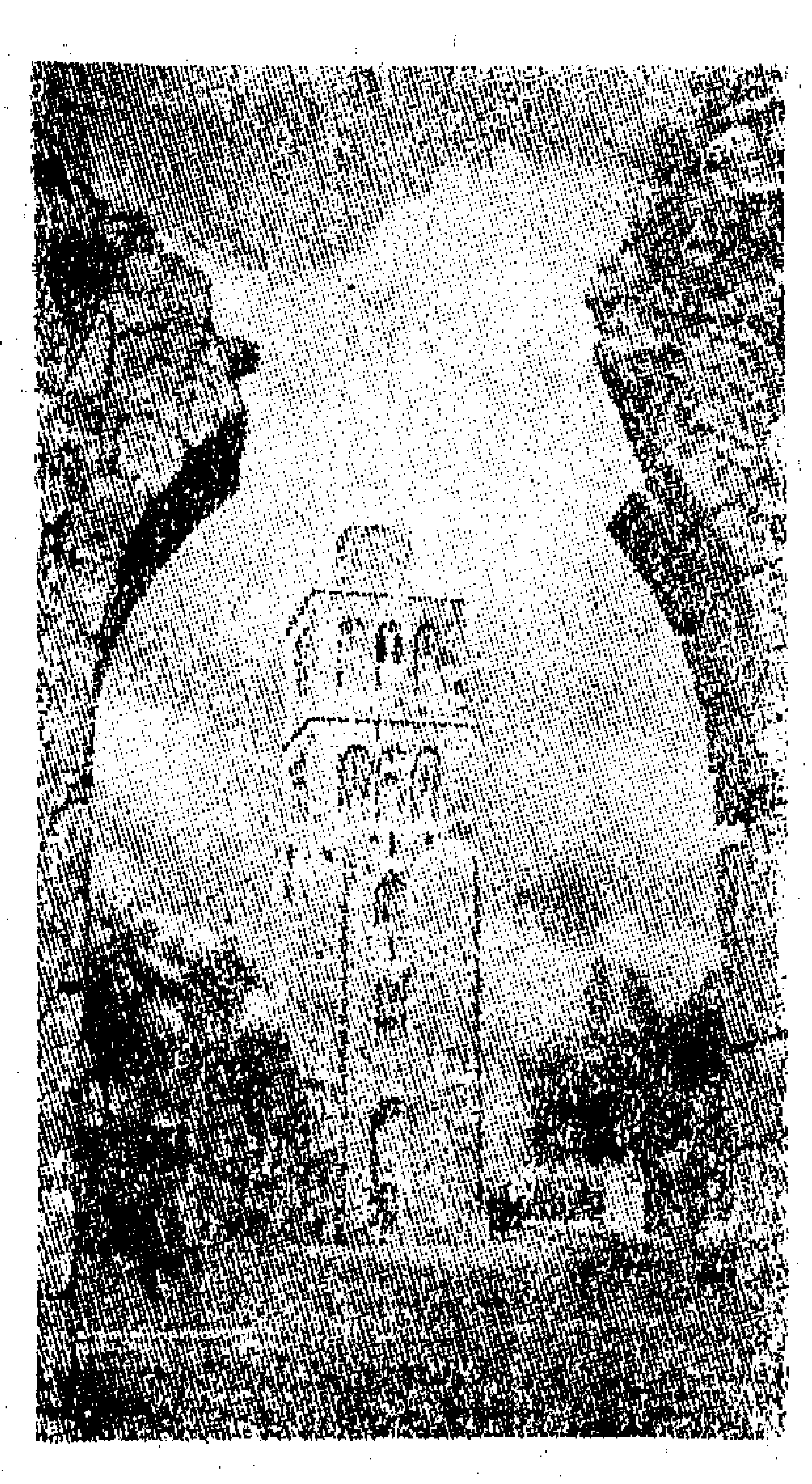
قال الخطاب شكلنا فرقة كشاف متجول مـــن الطلاب مشيا على الاقدام لنتعرف على ربوع الوطن الحبيب ولنعد أنفسنا جنود المستقبل للوطن . والذي أسس الكشاف المتجول في البلاد هو المرحوم درويش المقدادي . كان الفريق يتألف من عشرين طالبا ولما أزفت عطلة المدرسة

الربيعية تناقصنا حتى أصبح عددنا ستة هم : الخطاب وعبد الخالق يغمور ونمر شاهين ورشاد الخطيب ومحمد أبو غوض وذيب يحيى ، وكان ذلك في سنة ١٩٢٥م ولم يبق على قيد الحياة من هؤلاء الا الخطاب وعبد الخالق يغمور .

حملنا كل ما يحمله الكشاف المتجول وهو حقيبة ملابس وأدوات الطعام وطعامنا وحرامات للنوم في حقيبة كبيرة على ظهورنا .

## بــــدء الرحلــــة

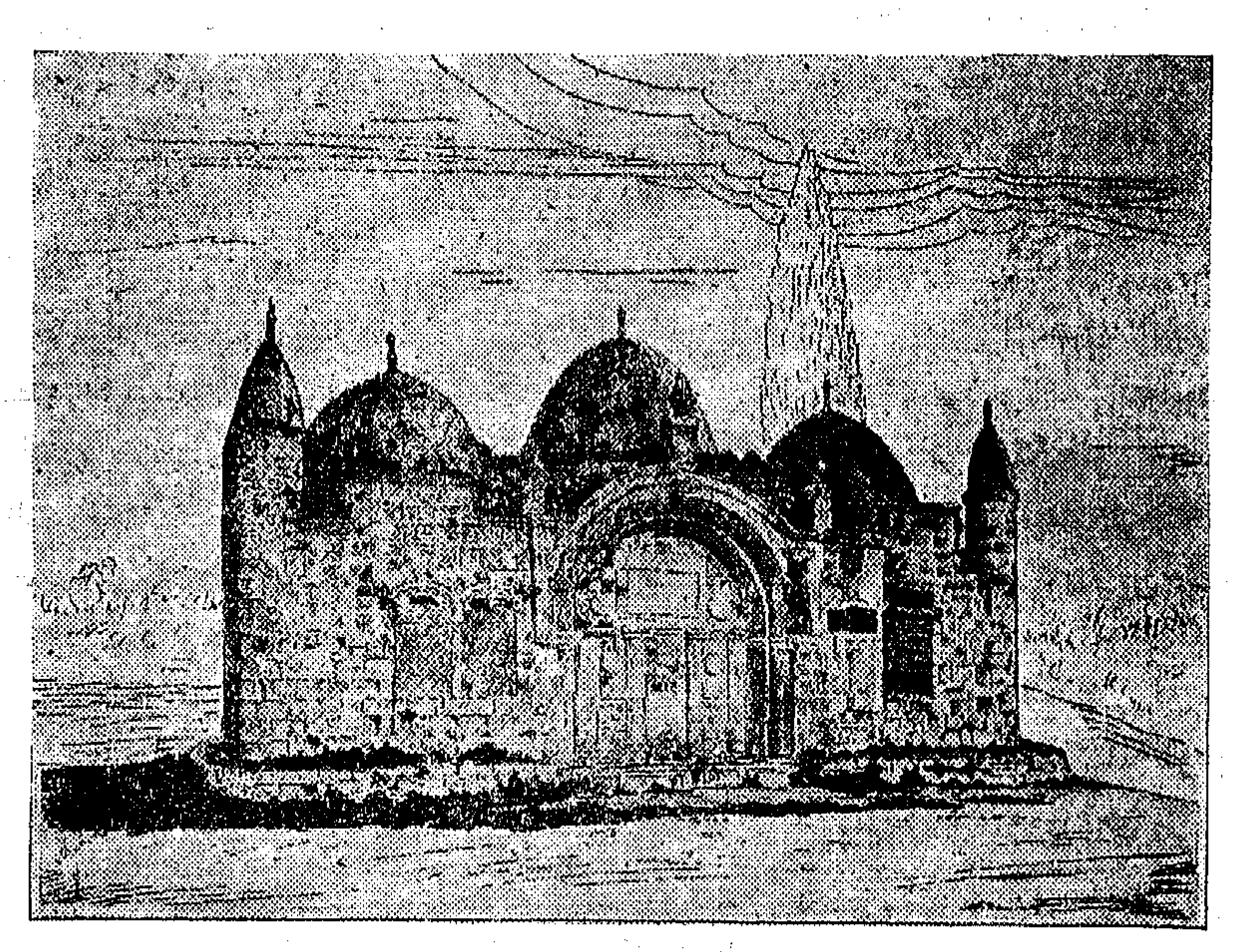
خرجنا من الخليل الــى بيت جبرين وهناك تفرجنا على آثارها الفسيفسائية ومعالمها . نمنا في بيت عبد الرحمن العزة . وأعطانا في



**نصب الشهداء في النبي صالح وبقربه يجري موسم النبي صالح**

الصباح بطاقة توصية الى مدير مدرسة الجمنازيوم في تل أبيب ، لكي يتاح لنا معرفة تقدم اليهود .

في صباح اليوم التالي ، توجهنا الى قرية تل الصافي التي يحتضن ثلاث جهات منها سهل فلسطين الفسيح . ومن الشرق تلال وجبال منطقة الخليل وتكاد تكون الحد الفاصل بين السهل والجبل ، خرجنا منها الى قرية قزازة وبها بئر عظيمة يرتوي منها أهل القرية ، وهي أول قرى سهل فلسطين الجميل ، سرنا طوال النهار فمررنا بقرية النعاني ، ومنها وصلنا الى الرملة التي تحيط بها بيارات البرتقال ، تلقاك بروائح أزهارها المعطرة . وطفنا بمعالمها ومساجدها وآثارها . واستقبلنا ضابط البوليس السيد محمد شنيتر ودعانا الى منزله ، ودعا معنا علية القوم الذين كان من بينهم المرحوم الشيخ مصطفى الخيري رئيس بلدية الرملة والذي أقام لنا بدوره حفلة عشاء فخمة وقص علينا في سهرة ممتعة تاريخ الرملة التي كانت هي عاصمة فلسطين في زمن الخليفة سليمان ابن عبد الملك .



**سبيل محمد آغـــا أبي نبوت قرب يافا**

وقص علينا قصة معركة اجنادين التي كان موقعها بقرب الرملة كما قص علينا قصة عمرو بن العاص مع أرطبون الروم . وقال الخليفة عمر بن الخطاب : لقد رمينا أرطبون الروم بأرظبون العرب . وفي الصباح توجهنا الى اللد وطفنا بمعالمها ومن ثم سرنا الى يافا في بيارات متصلات فوصلنا بعد الظهر .

سرنا على شواطئها الرملية الذهبية الجميلة وصلينا في جامعها الكبير ورأينا ساعتها في وسط المدينة .

في تل أبيب ، قال الخطاب : في اليوم الثاني توجهنا الى تل أبيب ثم الى مدرسة الجمنازيوم ولما قدمنا لمديرها بطاقة عبد الرحمن العزة أخذونا الى فندق فخم وضعوا شخصين يدلاننا على معالم المدينة فطافا بنا . ورأينا في ذلك التاريخ استعداداتهم في مدارسهم وأن هذه المدارس الكبيرة كانت تحول في الليل الى ثكنات عسكرية يتدربون فيها على كافة أنواع الفنون العسكرية ، واستعمال السلاح . كان الانكليز يرون كل ذلك ويشجعونه ويغضون الطرف عنه .

أما نحن العرب فكان وجود فشكة ذخيرة بحوزة الواحد منا أو حول بيته كافية لتعليقه في اليوم الثاني على أعواد المشانق .

وبعد يومين سرنا في سهل فلسطين الساحلي نحو الشمال الشرقي حتى وصلنا الى قلقيلية ومنها الى طولكرم فنمنا بقرب سكة الحديد ، بالقرب من مدرسة خضوري الزراعية ومن طولكرم توجهنا الى قرية الشويكة فذنابة ومنها الى قرية عراية حيث نمنا فيها ومنها الى جنين حيث نمنا فيها ليلة ومن جنين توجهنا الى قرية أم الفحم مارين بعدة قرى صغيرة .

نمنا على حافة سهل غور بيسان ثم توجهنا الى بيسان فاستقبلنا توفيق شاهين والد زميلنا نمر شاهين ، رحمة الله عليهم جميعا ونمنا في بيته .

* * *

القدس في ١٠/٢/٦٢

حضرة الاخ الفاضل السيد [illegible] الصافي المحترم

بمزيد السرور والابتهاج تلقيت خبر انتسابك لزمرتنا التي وجدت حديثاً ،
واستلمت اول دفعة منك في سبيل جمع عشرين قرشاً فلسطينياً ، بواسطة الاخ [illegible] رجبي .
واني لجد مسرور ان ارحب فيك وبنفسك الأبية ، وبتجردك الفياض [illegible] وتطلعك
المفعم حباً للسعي في اسعاد ابناء وطنك الفقراء والمحتاجين [illegible] تلك الصفات التي استطعت
ان ألمسها من خلوص نيتك وطهارة قلبك ، واني اذ ارحب فيك آمل ان تكون المثل [illegible] امثالك
والشباب البررة ، وان ينال ذلك المشروع على [illegible] يديك وايدي بقية الاخوان الاكرمين
تقدم ، كما وارجو ان يهدينا الكريم الى اقرب واسرع الطرق الموصلة للنجاح .
لقد سبق وتعارفنا [illegible] شخصياً في القدس بواسطة الاخ رجبي اثناء زيارتك
الاخيرة لنا في [illegible] الصيفية ، وكان ذلك في سينما صهيون ليلة تمثيل رواية الجحيم
من قبل فرقة الممثل يوسف بك وهبي ، واذكر انه منذ تلك الليلة شعرت بروحك تجتذبني
شيئاً فشيئاً وقد ابديت ذلك اذ ذاك بتنبأي لكونك [illegible] ، اتذكر ذلك ؟ لا شك .
وانه بمرور الايام وبفضل ما كنت اسمعه واطلع عليه من الاخ رجبي من اوصافك [illegible] وفائك
وصدق اخلاصك ، قد نمى هذا الحب الاخوي في قلبي واصبح من الضروري [illegible] فها انا ذا [illegible]
راجياً وآملاً ان تكون من ثمرته الخير كل الخير لما يرضي العزيز الحكيم .
هذا واني لاخالك تشاركني في شكر الاخ رجبي الذي كان ولا يزال في هذا المضمار
مجداً ومجتهداً واياكم الله تعالى يحفظه لنا مع باقي الاخوان موفقاً [illegible] النجاح [illegible] .
وختاماً تقبل مني [illegible] الجديد فائق احترامي وتحياتي الحارة بتوفيقك
في هذه الحياة وتقبل [illegible] ودم له محفوظاً سعيداً

اخوك
روحي الخطيب

## وكـــان المؤسس الثاني للجمعيات والكشافة والاندية الاستـــاذ روحـــي الخطيب امين القـــدس

## لا بد من طبريا ولو طال السفر

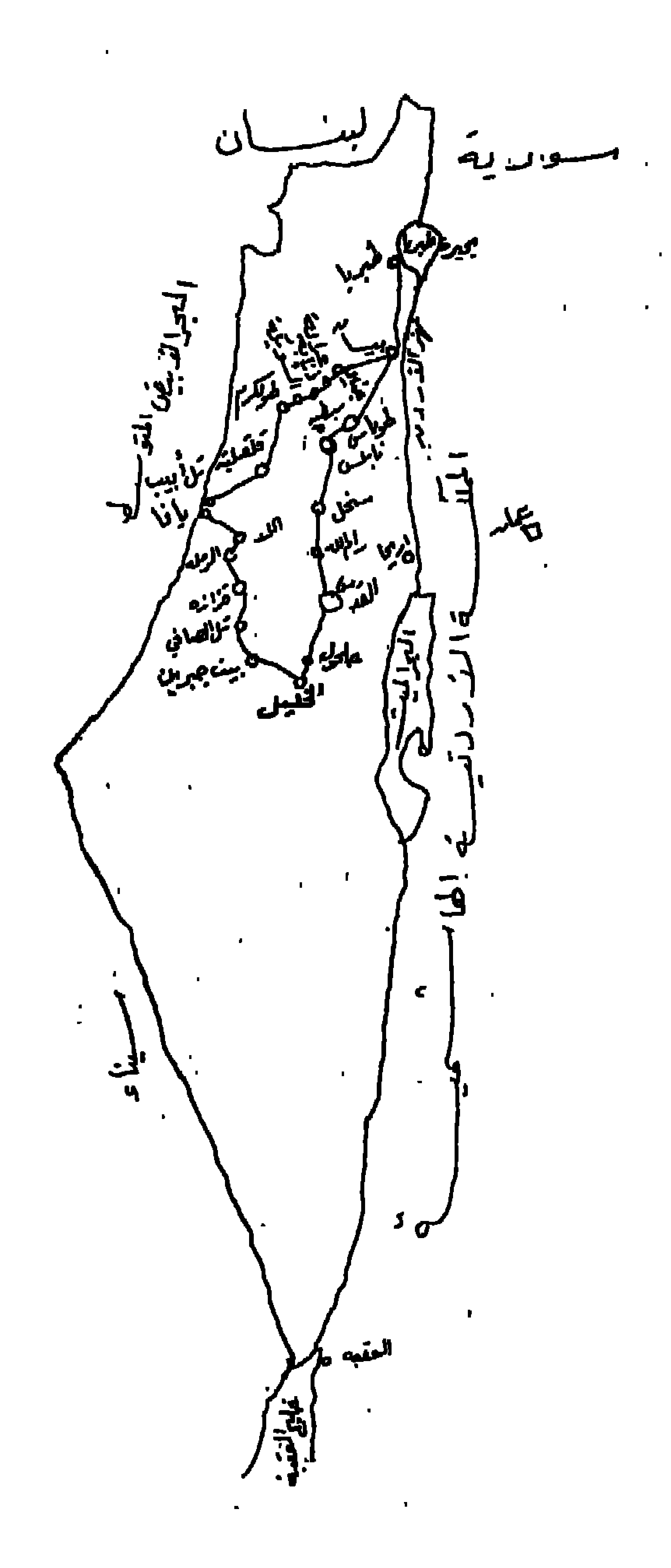
قال الخطاب : عندما آوينا في الساعة العاشرة مساء الى فرشنا ، وكان برنامج الرحلة أن نقطع فلسطين من جنوبها الى شمالها مشيا على الاقدام ، ولكن الرفاق عادوا فغيروا البرنامج وقرروا العودة من بيسان الى نابلس ، قلت وكيف ننهي الرحلة ونحن لم نشاهد بحيرة طبريا أجمل ما في فلسطين ، غير أنهم رفضوا رفضا باتا مواصلة الرحلة . قلت : لو علمت بقراركم هذا بالامس لذهبت وحدي الى طبريا وعدت في نفس اليوم . وتصدى لي رشاد الخطيب قائلا : « أن هذا منك كذب وانت تخاف أن تذهب وحدك » . وأخذتني الحمية ، وقلت : « مثلي لا يخاف . والله لا أخاف أن أذهب الان في هذا الليل الاظلم الى طبريا وحدي » .

وصاح رشاد والرفاق مستهزئين : تشارط بأنك لا تستطيع ان تذهب الان لطبريا وحدك ! قلت : أشارط . قالوا : نحن ندفع نصف جنيه شرطا لك اذا ذهبت الى طبريا الان في هذه الليلة . قلت : وأنا موافق . قالوا : هيا تفضل . قلت : أين النصف جنيه ؟ قالوا : ها هو وقد جمعوه من بينهم جميعا .

تناولت نصف الجنيه ومشيت من فوري دون أن أرتدي ملابسي وسرت بملابس النوم ، وكان يدور بخلدي أن صاحب البيت لا يتركني أخرج في هذا الوقت من الليل وانا اجهل الطريق ، والمكان مخيف . ولكن رفاقي منعوا صاحب البيت أن يعيدني ، لانهم حكموا علي حسب ما توسوس به نفوسهم من خوف .

أما أنا فقد رأيت في عودتي وصمة عار ان أعود خائفا ، ولذلك قررت أن أذهب الى طبريا ولو كان في ذلك هلاكي .

خرجت أسأل بعض المارة في شوارع بيسان عن طبريا وعن الطريق المؤدية اليها فأخبروا ، تلك هي الطريق المؤدية الى طبريا . ولم اسر الا قليلا حتى ضللت الطريق ونظرت بقربي الى قضبان السكة الحديدية ، وقلت : أليست هذه الخطوط الحديدية تخرج من سمخ جنوبي طبريا


لبنان
سورية
بحيرة طبريا
طبريا
البحر الأبيض المتوسط
بيسان
طولكرم
قلقيلية
تل أبيب
يافا
طوباس
نابلس
سنجل
رام الله
أريحا
عمان
اللد
الرملة
القدس
قزازه
تل الصافي
بيت جبرين
حلحول
الخليل
البحر الميت
المملكة الأردنية الهاشمية
سيناء
العقبة
خليج العقبة

فلأسر بين القضبان حتى أصل الى سمخ وسرت الى أن وصلت الى جسر المجامع فوقفت أشنف آذاني على خرير مياه نهر الاردن ، وفيما الخطاب في متعته سمع صوت القطار من الشمال وصفارة القطار تلعلع في عنان السماء ، فوضع ملابس نومه بين أسنانه وفكر كيف يتخلص من هذا المأزق ، فهو ان بقي فوق الجسر فربما صعقه القطار وان ألقى بنفسه في النهر مات غرقا ، ونظر اي طرفي الجسر أقرب اليه للخلاص ، فاختار الرجوع الى الخلف ، فعاد مسرعا ولم يبتعد عن طرف النهر أكثر من متر حتى جعل هواء القطار يلفحه فألقى بنفسه على الارض . وتحسس نفسه فوجد نفسه سالما فحمد الله .

وقرر الخطاب أن يغير طريق سكة الحديد ، ورسم لــه طريقا جديدا ، وخاطب نفسه ، ألم نتعلم أن نهر الاردن ، يخرج من جنوبي بحيرة طبريا ، فما يمنعه أن يسير على محاذاة النهر حتى يبلغ البحيرة ، وهناك يدور حولها حتى يصل الى مدينة طبريا . وبدأ في السير على هــذا التقدير .

سار على محاذاة النهر واذا بالاشجار النامية على حواف النهر ، بدأت تطعنه بأبر شوكها ، تطعنه حيثما اتجه ، ثم أخــذت تمسك بتلابيب قميصه حتى جعلت منه شرائح ممزقة . وهي شجيرات شائكة كالعرقد والعوسج والضريس وبعد أن أتت على قميص الخطاب اتجهت الى جلده تعمل فيه تشريحا وتجريحا والدم يقطر من جسمه حيثمـــا طعنتــه عوسجة .

بدأ الخطاب في معركة مع هذه الشجيرات الشائكة فما يكاد يتخلص من عوسجة حتى تمسك به عرقدة .

## معركـــة الخطـــاب مـــع الضبـــع

وفجأة سمع الخطاب بحركة بين الشجيرات ظهر بعدها أمامه شبح حيوان عرف انها الضبع . وبسرعة مر بخياله شريط القصص التي رويت له وهو طفل ، عن الضباع ، فاستجمع قواه ورباطة جأشه ليتخــذ من هذه القصص موقفا ضـــد الضبع يستفيد منه . من هذه القصص استعاد قصتين أحداهما تشجعه والاخرى تثبط همته . أمـــا

القصة التي تشجعه ، فهي : ان حسن الثور أبا يوسف في حوالي سنة ١٨٩٠م كان يرعى بقرة في وادي اوباره وهي غابة من أراضي حلحول ، تعرضت له الضبع فأمسك بأذنيها وركبها كما يركب الحمار ولكن حسن الثور كان يملك قوة خارقة كتلك التي تمتلكها ثيران المصارعة في اسبانيا . وكان اذا حاولت الضبع الانحراف عن الطريق أمسك بأذنيها وردها الى الجادة حتى اوصلها الى ساحة وسط القرية ، وتجمع سكان القرية ليروا اول مشهد ( ضبع تساق كالحمار ) ثم ترجل عنه وذبحه وعمل من لحمه وليمة لسكان القرية .

قال الخطاب : ولكن من اين لي القوة الخارقة التي لحسن الثور حتى استطيع بها ركوب ضبع زور الاردن واسير به الى بيسان أو طبرية ؟

أما القصة الثانية فقد رواها لي ابراهيم نعيم أحد مشاهير صيادي الوحوش ، المشهورين في زمانه قال : « في ليلة من ليالي شهر كانون أخذت عشاء الرعيان من دارنا في قرية حلحول الى مغارة طور الصفا في غابة من غابات القرية وأنا احمل بارودة المزند الطويلة التي كانت تحشى بكل طلقة حشوة ودلجت في الليل فلقيني الضبع الذي كثيرا ما لقيني غير هذه المرة ولكني كنت أحتقره واراه لا يساوي طلقة المزند فقلت له : اخس يا أبا الفطايس ولكنه ظل يتابعني حتى خطف عقلي وتبعته وأنا أناديه : يا أبي يا أبي ، والضبع لا يأكل فريسته اذا كانت من الانسان الا بعد أن يسلبها عقلها فتتبعه الى ماكورته ( جحره ) وفي داخلها يأكلها »

قال ابراهيم نعيم : وظللت أتبعه الى أن دخل ماكورته فحاولت الدخول خلفه ولكن بندقيتي المزند الطويلة التي أحملها في كتفي لم تدخل معي واصطدمت بالباب فضربتني في رأسي فأسالت دمي فصحوت مما أنا فيه فأطلقت النار فقتلته .

قال الخطاب : أما انا فليس لدي البارودة المزند أدافع بها عن نفسي فما أنا فاعل بهذه المصيبة التي حلت بي ولا أملك ما أدفع به

الشر عن نفسي الا أن أحافظ على عقلي حتى لا تسلبني اياه الضبع فاتبعه الى ماكورته .

وخطوت بضع خطوات فرأيت في الظلمة عيني الضبع تنظران الي كجمرات تكوي جسمي فانحرفت قليلا عن اتجاهه فقفز أمامي فانخلع قلبي ، وتذكرت أسد المتنبي في شعره وشجعت نفسي بترديده :

**أمعفــر الليث الهزبر بسوطه          لمن ادخرت الصارم المصقولا**

**وقعت على الاردن منه بلية          نضدت لها هام الرجال تلولا**

قلت : حتى ولو كان معي سوط الفارس فليس معي ذراعه . وخلصت قميصي من الاشواك وسرت في مسربة بين الشجيرات فاذا به يقطع الطريق علي ويتعرض في وسطها ويقف أمامي بلا مبالاة وينظر الى قميصي الممزق وجلدي المثخن بالجراح بكل ازدراء . وخطر ببالي وأنـــا انظر الى حالي قول الامير الاندلسي :

**وبرزت ليس سوى القميص          على الحشا شيء دفوع**

**اجلــي تأخر لــم يكن بهواي          ذلـــــي والخضــــــوع**

واومأت الى الارض وملأت عرامي بالتراب والحصا وقذفتها في عينيه وقلت له : اخسأ يا أبا الفطائس وتحركولم اجرا على الاقتراب منه وفتحت بعد فترة طريقا آخر وسرت قليـــلا فأسرع كالسهم بين تلك المسارب بين الاشجار الشائكة التي خبـــر تعرجاتها وتفرعاتها وكنت أسمع حسه منسلا بينها . ومع كل حركة كانت تقابلها حركة اضطراب في قلبي ، وسرت أتلمس طريقي خطوة خطوة حذرا من الاشواك ، وخوفا من الضبع ، وكانت كل دقيقة تمر بي أطول من سنة ، ولا أرفع قدمي الثانية الا حيث أطمئن على موضع قدمي الاولى ، ورفعت قدمي اليمنى ووضعتها بتأن وتـــؤدة فوق الارض فأحسست بشيء طـــري يترجرج تحت قدمي فلما ألحقت قدمي اليسرى باليمنى اجفل الضبع من تحت قدمي وقذف بي الى الوراء فوقعت على ظهري فوق الشجيرات الشائكة وشعرت بأنها نهايتي وأن الضبع سينقض علي ويفترسني ،

وسلمت نفسي الى خالقي ، وفي لحظات شعرت ان الدم قد تجمد في عروقي ، ولكن الضبع لم يهاجمني ومضت لحظات استعدت فيها شتاتي وضياعي كما استجمعت قواي واسندت نفسي وتلفت حولي فلم أر الضبع فخلصت قميصي وجسمي من الاشواك التي غرزت به ، كما دفعت الخوف عن نفسي من ان الضبع لن يفترسني ما دام لم يسلبني عقلي ، ووقفت برهة أفكر فيما سأفعله للخلاص مما انا فيه ، فأنا واقع في مأزقين : المأزق الاول ، وهو هذا الزور من الاشجار الشائكة التي تعيق حركتي وتمنعني من الافلات من براثن الضبع ، والثاني ، الضبع الذي كنت أشعر أن شدة الجوع كانت تدفعه لإفتراسي ولم يكن معي سيفا لأقول لهذا الضبع ما قاله بشر بن عوانة العبدي للاسد :

**نصحتك فالتمس يا ليث غيري — طعاما ان لحمي كان مـرا**

**واطلقت المهنـد مـن يمينـي — فقد له من الاضلاع عشرا**

وطلع القمر وارتفع في عنان السماء ففتح لي باباً من الامل وكشف الطريق والارض من حولي ، فقررت الخروج من هذا الزور الى الارض الزراعية فقررت تـرك السير على محاذاة النهر لانني رأيت نظريـة الوصول الى طبريا عن طريق النهر شبه مستحيلة فجعلت أتجه نحو الارض الزراعية الخالية من هذه الاشجار الشائكة الملعونة ، فاتجهت نحو الغرب ، نحو الارض الزراعية .

وجن جنون الضبع وجعل يلاحقني ويلزني للعودة الى الزور وانا اقاوم بجد وصلابة لأنني رأيت انني لو بقيت بقرب النهر فاني هالك لا محالة فعرفت الضبع قصدي واستعملت كل وسيلة للحيلولة دون بلوغي مرادي ، وسارت الضبع الى جواري تستعمل وسائل التخويف فجعلت تضرب بذيلها بين فخذيها فتحدث فرقعة وأصواتا مخيفة ولكنني ظللت مصمما على الخلاص وعندها اتخذت الضبع حربا سافرة ضدي وجعلت تحوم حولي وتقترب مني وكان آخر شيء لجأت اليه انها جعلت تقترب مني وتضربني بذيلها المبلل ببولها ومن الرائحة الكريهة التي شعرت بها أن هذا السلاح هو سلاح مخدر تلقيه الضبع على فريستها فتفقده وعيه وتسلبه عقله وهو آخر سلاح تملكه . شعرت بدواخ وشعرت

براسي تدور . وقلت : اذا انتصرت في هذه المعركة فسيكون النصر حاسما . الان أصبحت في المعركة على ضوء القمر وجها لوجه والرجفة وأسناني التي كانت تصتك في أول المعركة أصبحت تزول رويدا رويدا وتشجعت ، وتشبثت بخيوط الحيـــاة الواهية التي لا أزال أحتفظ بها ولكني شعرت بقوتي تخونني .
غير انني بعد أن بلغت السهل وتخلصت من الزور تجددت قواي فأسلمت ساقي للريح وظللت أجري حتى تدلى لساني من التعب . وخلتني نجوت من الضبع ، فما كدت أبطىء خطاي حتى رأيته أقبل من الزور وهو يبربر ، وقد وضع راسه نحو الارض كمن يتشمم شيئا ، وتدلى ذنبه بين رجليه ودنا مني حتى لامسني وخبطني بذيله .. وصحت من غير وعي أطلب النجدة :

ــ ها صبيان ، ها صبيان . وسمعت صوتا يتردد صداه : أبشر ، أبشر . وتقدمت نحو الصوت وانا أطلب النجدة . وتقدم المغيث نحوي وجن جنون الضبع عندما سمع الرجل يقترب مني وحينما اعتقد أن فريسته ستفلت منه . وجدد هجماته علي ولكني بدوري تشجعت وصرت آخذ كل ما يقع تحت يدي من حصى وتراب اقذفها في عينيه اللتين كانتا تتقدان كالشهابين وكان يبعد عني ويتوارى فأظن انه خلى سبيلي ، وأسير الهوينا فلا أشعر الا وقدمي تطـــأ جسمه فيقفز فينخلع لبي ، فأطلق الرجل طلقة في الهواء وهو يسير نحوي وينتخي . فلما سمع الضبع صوت النار انطلق يهرول كالسهم ولم يعد الي ووصلت الـــى الرجل الذي قرب مني وسألني : ما بك ؟ قلت : الضبع كاد يقتلني . فقال الرجل وهو بدوي : عرفت والله منذ اللحظة التي سمعت فيها استغاثتك أن الضبع يواهنـــك .

أخذني الرجل الى مراحه حيث قطيعه وقد تراخت أوصالي مـــن التعب وأما قميصي النوم فقد أصبح مزعا تتدلى على أطرافي .

قال الرجل : وما جاء بك الى هنا ؟ قلت : خرجت مـــع رفاقي الكشافة في بيسان متوجهين الى طبريا فضللت عنهم الطريق . قـــال مضيفي : نم خلف المراة حتى الصباح وليس عندنا الا فراش واحد .

## النــــوم تحــت الدبيــــة

اندسست تحت الغطاء المسمى بالدبية . والدبية نسيج ينسجه البدو من خيوط الصوف الغليظة كالبساط ولكي يجعلوه لين الملمس يدخلون بين خيوط النسيج خلبا من الصوف كالبطانة نجعله لين الملمس دافئا ولكنه يبقى طيلة عمره من غير غسيل . فلما اندسست تحت الدبية غمرتني رائحة كريهة كتمت أنفاسي .

حاورت نفسي بين المبيت تحت هذه الدبية الى الصباح فافقـد الشرط لان رفاقي سيقولون بأنك بت في بيسان وفي الصباح توجهت الـى طبريا .

نهضت من الفراش وقلت لمضيفي : ارجو أن تدلني علي طريق الى طبريا ليس فيها ضبع . قال : نم يا بني حتى الصباح ، وفي الصباح سهل الله عليك . قلت : ولكني لا أستطيع . فدلني على طريق قريبة من مكانه وكانت ليلة مقمرة فسرت في طريق سهلة ووضعت ثيابي بين اسناني وبدات الركض مع الطريق متجها نحو الشمال .

## الخطــــاب يضــل الطريــــق

وبعد مدة تفرعت الطريق الى فرعين احداها اتجهت يمينا نحو النهر والاخرى اتجهت يسارا ، قلت : يسارا والا عاودتك الضبع وظللت على هذا الحال حتى انبلج الصبح فوجدتني أمام خزان للماء عال ودرت جوله حتى جاء شخص عرفت انه يهودي وكنت أظن أن هذا الخزان لطبريا فسألت الرجل : ما اسم هذا المكان ؟ فقال : هذه مستعمرة ( يما ) . قلت : وأين طبريا ؟ قال : أين أنت من طبريا ؟!. وأشار لي نحو الشفق قائلا : هناك طبريا ، خلف تلك الجبال .

وسرت مسرعاً نحو ما أشار لي متجها نحو الشرق ، ومرة أخرى جعلت أركض حتى طلعت الشمس وبدأت معدتي تهضم نفسها .

## الجـــوع كافــــر

وعضني الجوع بنابه . وفجأة وجدت امرأة بدوية تخبز على الصاج فقلت لها هل تبيعينني رغيفاً من الخبز لا يكاد الجوع ان يقتلني ، قالت : ان ما لدي من الخبز لا يكاد يكفي لعيالي ، فأمامك السوق تشتري منه ما تشاء . قلت : ولكني من شدة الجوع لا اكاد اقوى على المشي . وابت كل الاباء ان تبيعني رغيفا أو تتصدق علي به . وسال لعابي على رائحة الخبز التي تنبعث من بخاره ، ودرت من على يمين المراة حيث تضع الخبز الذي تصنعه وانقضضت كالصقر على الطبق واختطفت رغيفين فنهضت تطاردني فوضعت الرغيف الاول في شدقي وهي تنظر الي وتسب وتشتم وتحاول استرداد الرغيف الثاني ولكــن أضراسي بسرعة البرق ضغطت الرغيف والقت بـــه في جوفي واتبعته بالرغيف الثاني فلما يئست من استرداد الارغفة طلبت الثمن . قلت لها : ليس معي نقـــود .

## مناظـــــر طبريـــــة الساحــــرة

تجددت قواي بعد الرغيفين فأسرعت الى قمم الجبال التي أمامي فلما بلغتها ونظرت الى انحدارها السحيق واذا ببحيرة طبريا أمامي تتجلى في وسط الوادي كالعروس في حفلة زفافها ، ومدينة طبريا تقوم على ركنها كالحارس الامين .

وقد عكست الشمس فوق البحيرة اشعة تتلألأ كأنها كوكب دري فجلست على صخرة فوق قمة الجبل ماخوذا بهذا المنظر الخلاب ونظرت خلفي وشمالي ويميني على تلك السهول الفسيحة . ومرت بخاطري معركة حطين وتصورت فرسان صلاح الدين يصولون ويجولون ، بل لقد كدت أرى خيمة صلاح الدين وملك الكرك جاثيا ببابها ينتظر القضاء المحتوم جزاء غدره وخيانته .

دلفت من على قمة الجبل نحو طبريا أتعثر بين الصخور البركانية فوصلتها في ضحوة النهار .

توجهت فورا الى مكتب قائمقام طبريا ورجوته ان يتصل ببيسان

ليخبر مضيفي بوجودي عنده . ولم يكن الاتصال ممكنا الا بواسطة البوليس وبوليس بيسان لم يبلغ توفيق شاهين .

## البوليس يخبر عن وجودي

واخيرا فكرت في حيلة ذهبت الى مركز بوليس طبريا فوجدت جاويش المركز من الخليل فاتفقت معه ان يتصل ببوليس بيسان ويخبرهم بأن لدينا شخصا مشبوها يدعي انه احد افراد فرقة كشافة موجودة في بيت توفيق شاهين واسمه عمر عناني وفي الحال ذهبوا واستفسروا وقالوا نعم ان الشخص المذكور هو احد افراد هذه الفرقة .

ذهبت الى مطعم على شاطىء البحيرة ليس فيه الا السمك الطازج من البحيرة فتغديت غداء لم اذق اشهى منه . ومن ثم نزعت ملابسي وسبحت في البحيرة . ولكني لم اشف غليلي في التوغل الى داخلها فعدت للشاطىء وارتديت ملابسي وركبت مركبة صغيرة قطعت بي البحيره الى منتصفها وعدت ثانية فذهبت الى حمامات طبريا المعدنية . وكان القائمون عليها يهود فتحممت وسبحت في بركة تسمى المغطس ، وقال لي عامل عربي يشتغل في الحمامات : ان اليهود غشاشون ، وهذه البركة التي تسبح فيها ليس فيها نقطة من المياه المعدنية وانما هو ماء عادي يسخنونه ويضعونه في البركة . قال الخطاب : يا سبحان الله حتى الماء يغشه اليهود . بعد هذا الحمام دار الخطاب في طريق معبد على شاطىء البحيرة الغربي وما زال يسير حتى وصل الى طرف البحيرة الجنوبي في المكان الذي تخرج من البحيرة مياه نهر الاردن ، وهناك راى اخصاص صيادي السمك من العرب بمراكبهم التي يصطادون عليها السمك ، وكانت الشمس قد بدأت تترنح في عراك مع جيوش الظلام .

سال الخطاب الصيادين عن الطريق الموصلة الى بيسان وكانت على يساره بلدة سمخ جنوبي البحيرة، ومنها تصعد سكة حديد تتسلق الجبال الى الحمة ولم يجد الخطاب صعوبة في طريق العودة من سمخ الى بيسان لانه سار في طريق معبد حتى وصل الى بيسان في الوقت الذي خرج منها فيه ليلا .

## العـــودة الـى نابلـس

سرنا في وادي بيسان متجهين الى الجنوب نحو نابلس. وفي الساعة الثانية بعد الظهر اعترض طريقنا أحد مشائخ سهل بيسان واسمه محمد العلي فأكرمنا غاية الاكرام وتجمع الناس من عشيرته. ومن العشائر المجاورة كشافا عربيا متجولا وكانوا يصفقون عاليا ونحن ننشد الاناشيد الوطنية الحماسية وبعد أن تناولنا الطعام اتجهنا نحو نابلس وعنـد الغروب دخلنا واديا يسمى وادي الخشنة لم نر له مثيلا فيما مررنا به من الاودية فقد مكثنا ثلاث ساعات ونصف الساعة حتى خرجنا منه وكان الذي سماه وادي الخشنة قد أحسن هذه التسمية . بعد وادي الخشنة اتجهنا في أرض سهلية وكل الطريق سلكناها طرق غير معبدة .

وصلنا طوباس في الساعة العاشرة ليلا وسألنا عن مدير المدرسة فجاء وفتح لنا المدرسة وأحضر لنا فراشا وعشاء . وفي الصباح تجمع الطلاب والمعلمون واطلقنا سلاحنا من الاناشيد ، وخطب المدير في فضل الكشافة . ورد عليه الخطاب ودخل الطلاب الفصول فتوجهنا نحـو نابلس عن طريق وادي البيدان . وفي هذا الوادي تتجلى الطبيعة بأجمل المناظر في طرق متعرجة صاعدة هابطة تغطيها الاشجار والبساتين في مشهد خلاب وعند الغروب وصلنا الى قرية بلاطة .

واختلفنا هناك هل ندخل نابلس وننام كما أشار علينا رشاد الخطيب عند قريبه عبد الرحيم التميمي أم ننام على حافة عين بلاطة حتى الصباح أما الخطاب فقد قال : ما دمنا قد خرجنا كشافا متجولا فلنعسكر على ماء بلاطة واذا كنتم قد خرجتم لغاية أخرى فدونكم دار عبد الرحيم التميمي .

فتوجهوا الى دار عبد الرحيم التميمي . ونام الخطاب وحده كشافا متجولا قرب عين بلاطة .

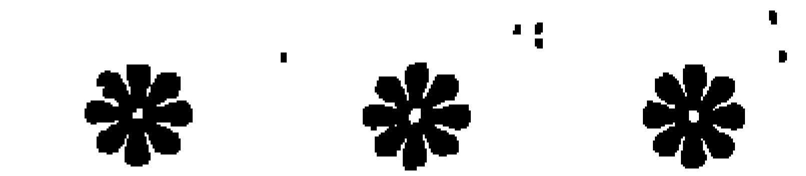
وفي الصباح توجه الخطاب الى دار عبد الرحيم التميمي واذا بـه قصر من قصور الجنة . بهو الدار فيه اكبر من حارة في قرية . ومكثنا ثلاثة أيام في نابلس حضر مفتش المعارف آنذاك شريف صبوح وعمل لنا برنامجا زرنا جميع مدارس نابلس الحكومية ومدرسة النجاح الوطنية

وكان أغرب ما شاهدناه ان معلما أميركيا اعتنق الاسلام ويدرس فـي مدرسة النجاح اسمه ( عبد الله هارلو ) وزرنا بلدة سبسطية الاثرية وقرى نابلس القريبة واستقلبنا معلمها الشيخ محمد العورتاني .

كانت معنا تواصي لكل معلمي القـرى التي نمر بها ومنها قرية سنجل ومعلمها الشيخ محمد الخطيب اذ وصلناها مع غروب الشمس الذي بيتنا في دار مملوءة بالبراغيث فامتصت هذه البراغيث الملعونة في ليلة واحدة كل الذي اكتسبناه من غذاء طيلة هذه الرحلة . قـال الخطـاب :

مررنا في قرية سنجل بامراة تخبز في الطابون في الصباح الباكـر وطلبنا منها أن تبيعنا خبزا لكثرة ما نقاسي من الجوع فرفضت ، فأخرجت الملو الاول من الطابون وملأته بالملو الثاني وخرجت من الطابون وذهبت لدارها قرب الطابون لتتخلص من الحاحنا في طلب الخبز وعندها دخل الخطاب والخبزات في الطابون وعددها خمسة ارغفة ووضعها تحت ابطه وهرول هو ورفاقه واسرعوا هاربين من القرية . ومن سنجل توجهوا الى رام الله فالقدس فالخليل .

وتمت الرحلة التي ظلت طيلة حياة هذه الفرقة الذكرى الجميلة فـي حياتهـم .



# الخطاب فــي مدرسة البوليس

في عام ١٩٢٥ ـــ ١٩٢٦م اعلن الانكليز عن حاجتهم الـــى رجال بوليس متعلمين يدربونهم ستة اشهر ثم يخرجونهم رجال شرطة فترك الخطاب المدرسة الثانوية في الخليل والتحق بمدرسة البوليس فـــي المسكوبية بالقدس .

وظن الخطاب أن اسمها مدرسة بوليس اسم على مسمى فوجد أنها مدرسة بالمعنى الكامل لهذا الاسم بالنسبة لليهود والانكليز اما بالنسبة للعرب فهي سجن واذلال وعبودية .

وكان الطالب ( ركروت ) يمضي تعهدا بأنه يستعد ان يخدم ثلاث سنوات في وظيفة بوليس

فلما دخلها الخطاب وامضى العقد صارت انشودته من أول يوم :

الحبســ ليس مذهبـــي وليس فيـــه طربـــي
فلست ارضـــى قفصـــا وان يكـــن مـــن ذهب

والتدريب فيها على نوعين ، النوع الاول : تدريب عسكري ، والنوع الثاني قانوني .

التدريب العسكري البوليسي : هـــو تدريب اولي على الحركات الرياضية والثاني هو كيف تحارب الشعب . كيف تهاجم المظاهرات العربية التي تقوم ضد الاستعمار . كيف تحمل العصا الغليظة لتضرب بها المتظاهرين .. كيف تتعقب المجرمين ويعدون الثائر المطالب بحقوقه مجرمـــا .

وعلى هذا فكل التدريبات العسكرية ضد العرب اصحاب البلاد وكل القوانين تصاغ لتكبيل العرب ومنعهم عن مقاومة سلب بلادهم . لقد كانت هذه المدرسة مدرسة خبيثة . كانت مدرسة تخنق فيها الحرية

وتخنق فيها الروح الوطنية ، وتميت كل احساس بالعزة وتذل فيها كل النفوس الابيـــة .

الاذلال الاول : يخـرج الطالب في الصباح المبكـر لتلقي التمارين الرياضية فيا ويل الطالب لو قال له المدرب يمينا در واندار الى الشمال وعندها تنصب عليه الشتائم وعلـى والديه اللذين خلفاه .

ولو عملها الانكليزي فالمعاملة تختلف ويقال له : اغمل معروف در الى اليمين وليس الى اليسار . لأنه ابن الرب المستعمر وكذلك المعاملة مع اليهود لأنهم من شعب الله المختار . وكانت الاوامر تلقى بلغـة المستعمر الانكليزي على الجميع .

أمـا مواد قانون الجـزاء وهي النوع الثاني من التعليم في هذه المدرسة فكانت كلها تلف وتدور لتكبيل العربي ليبقى أداة صماء فـلا يقوم بأي نشاط سياسي أو اقتصادي يتعارض أو يقف حاجزا في طريق الجشع الصهيوني المؤيد بالاستعمار للاستيلاء على فلسطين وطـرد العـــرب منهـا .

وأهم عمل كان في المدرسة ويستغرق أكبر الوقت لطالب مدرسة البوليس هو مسح البصطار وتلميع الازرار وفي الصباح الباكر سبكشن تفتيش على مسح البصطار وتلميع الازرار .

لقد ضاق الخطاب ذرعا بهذه الحياة وفكر كيف يتخلص من هذه المدرسة الملعونة . والخطاب الذي لا تزال آثار جلدات البوليس معلمة على قفاه لاشتراكه في المظاهرات يحول اليوم الى بوليس جلاد يجلد المتظاهرين بسوطه على اقفيتهم . ما عاذ الله أن يفعل الخطاب ذلك .

واذن ، فالنجاة النجاة من هذه المدرسة الخبيثة ، وماذا يفعل الخطاب والتعهد جاثم على صدره ؟!

وعلى ذلك فلن يخلص الخطاب الا العصيان والتمرد ، سلاحه الذي كان يخلصه في الملمات .

التمرد الاول :

المدرب طاهر سعيد : يمينا در . الخطاب يسارا يدور .

طاهر سعيد : أنت حمار لا تعرف يمينك من يسارك .

الخطاب : لست احمر منـك .
طاهر سعيد ، يتقدم ليضرب الخطاب بالعصا
الخطاب : اياك أن تفعل ذلك ، ان ضربتني ضربتك .
طاهر سعيد : محكمــة .
الخطاب : مئـة محكمـــة .
المحاكمة : نزع حزام الخطاب ومشى جندي أمامه وجندي خلفه .

مستر جيلز ، مدير المدرسة هو الحاكم .
طاهر سعيد أمام الحاكم : سليوت سلام
الخطاب : سليوت سلام .
جيلز : لماذا شتمت المدرب ؟
الخطاب : لم أشتم المدرب ولكني رددت اليه الشتيمة .
جيلز : خمسة أيام حسم راتب .
طاهر سعيد : خلفا در مارش .
الخطاب : خلفا أماما ، كله واحد .
المحاكمة الثانية في درس القانون :
حسن الكاتب : على البوليس أن ينفذ القانون على أي انسان يخالــف القانــون .

الخطاب : ولو كان هذا القانون ظالما ؟
حسن الكاتب : البوليس ليس هو المسؤول عن سن القانون ، وعليه أن ينفذ القانون بحذافيره .
الخطاب : ولو كان ضد أبيه ؟
حسن الكاتب : ولو كان ضد ابيه وضد اخيه .
الخطاب : هذا عقوق للوالدين ولن أفعله .
حسن الكاتب : محكمـــة .
عقدت المحاكمة الثانية كالمحاكمة الاولى وحكم الخطاب هذه المرة بعشرة أيام حسم راتب .
الخطاب : عشرة عشرين ، كلــه واحد .
المحاكمة الثالثة ، في التدريب :
الشاويش دافيد : مكانك عد ، لفت رايت ، لفت رايت ، شمال

يمين ، شمال يمين . مكانك قف . هولد
الخطاب يخرج من الطابور ويذهب ويشرب من حنفية الماء .
الشاويش دافيد : محاكمـــة .
وكما حدث في المرتين السابقتين حدث في المرة الثالثة .
جيلـــز : لماذا تركت الطابور وذهبت وشربت من الحنفية ؟
الخطاب : هل شرب الماء جريمة ؟
جيلز خمسة عشر يوما حسم راتب . خلفا در كويك مرش ، سر المحاكمة الرابعة وهي الشعرة التي قصمت ظهر البعير . فـي مطعم المدرسة :
الضابط كوهين : تفضل ، وكان الغداء بطاطا باللحمة والصلصة وكانوا يميزون طعام البوليس اليهودي عن البوليس العربي ، فجلس الخطاب بين طلبة البوليس اليهودي .

وضع الضابط كوهين الصحن أمام الخطاب ولم ينتبه أنه عربي ، فلما أحضر كوهين طبق الارز تنبه أن الخطاب عربي فحاول أن ينتزع صحن البطاطا من أمام الخطاب .
الخطاب : ارفع يدك عن صحن البطاطا .

كوهين : قم من هنا هذا مكان للطلبة اليهود وأمسك بالخطاب ليجره من مقعده ويأخذ صحن البطاطا من أمامه .
الخطاب : أمسك بصحن البطاطا بالصلصة وأفرغه فوق أم رأسه فخرج وقد اخذ دشا من البطاطا واللحمة والصلصة وأسرع كوهين الى مدير المدرسة وهو على هذا الحال .

الخطاب ، محاكمة . جندي من الامام وجندي من الخلف . خلع الحزام
جيلـــز : لماذا فعلت هذا بالضابط كوهين ؟
الخطاب : لانكم تميزون البوليس اليهودي عن البوليس العربي . وقد حاول الاعتداء علي وجذبني من مقعدي وحاول أخذ صحن البطاطا مـــــن أمامـــي .
جيلز : هذه المدرسة انشأتها بريطانيا وهي التي وضعتقوانينها فاذا لم تعجبك فاصنع للعرب مدرسة خاصة .

الخطاب : اخرجوا من فلسطين أنتم واليهود وعندها سأقيم للعرب الفلسطينيين مدرسة خاصة .

جيلز : حكمتك شهرا حسم راتب وتجريدك من ملابس البوليس مع ديسشارج طرد من المدرسة .

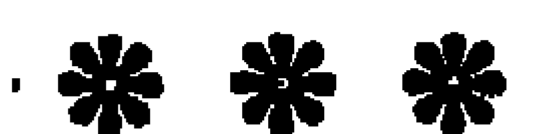
الخطاب : والصحن والملعقة والشوكة وكيلة الماء هل ستأخذونها ؟

جيلز : كلا ، هذه لك فقد دفعت ثمنها .

وعاد الخطاب بعد خدمة شهرين مدينا بثلاثين يوما حسم راتب، لان الحسميات كانت ضعف الراتب .

وفرحت أم الخطاب بكيلة الماء التي ظلت تستخدمها في غرف الماء مـــن الزير لمدة عشر سنوات .

عاد الخطاب الى مدرسة الخليل الثانوية قبل نهاية السنة بعشرين يوما وقدم الامتحان ونجح بحمد الله .



# الخطاب في الكليـــة الاسلامية

في عـــام ١٩٢٤ فتح المجلس الاسلامي في القدس الشريف كلية اسلامية . وكان الاساس في اقامة هذه الكلية هو تخريج قضاة شرعيين وموظفي محاكم شرعية .

لذلك ، فقد كان منهج التدريس فيها يعتمد على العلوم الدينية ثم ادخلوا فيما بعد علوم الرياضيات والطبيعيات والاجتماعيات وكافة المواد الدراسية في المدارس الحكومية الثانويـــة ولكنها تتوسـع في العلـــوم الدينية والشرعية .

وفي اول سنة افتتحت فيه تقاطر اليها الطلاب على امل ان يكونوا قضاة فلسطين الشرعيين .

وكان للحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين هدف سياسي في افتتاح هذه الكلية . ذلك أن مدارس الحكومة كانت تحرم على طلابها ومعلميها التحدث في السياسة أو الخوض في قضية وطنهم فلسطين ومن يحيد قيد شعرة عن هذا يكون جزاؤه الطرد من المدرسة ان كان طالبا وطرده من وظيفته ان كان موظفا .

وكان أول من طرد من وظيفته لانه خالف هذه الاوامر وتمرد على اوامر المستعمرين حينما كان معلما في مدرسة دار المعلمين ـــ الكلية العربية فيما بعد واسس فرق كشافة كانت تتجول في طول البـــلاد وعرضها ، وكان في اثناء الرحلات في المواقع التاريخية يشحن نفوسهم بالتمرد والثورة على المستعمرين ، ويبين خطر الصهيونية وما تنتويه من طرد السكان العرب من فلسطين واحلال سكان يهود بدلهم .

ودرويش المقدادي اول من أسس جمعية الكشاف العربي ، ظاهرها كشاف وباطنها جمعية سرية عسكرية هدفها مقاومة الاستعمار والصهيونية فطردته الحكومة من دار المعلمين ويومها اعتصم طلاب دار المعلمين

وقاموا بمظاهرة لارجاعه لكــن الاستعمار رفض ذلك . فعين في الكلية الاسلامية غير أنه عاد واختلف مع الحاج أمين وترك الكلية الاسلامية . ومن أساتذة الكلية العظام الشيخ اسماعيل الحافظ تلميذ الشيخ محمد عبده ، وقد كان بحرا في علمه صادقا في وطنيته حازما في ادارته ولو أن الحظ لم يساعدني لأن أتتلمذ عليه .

ومن أساتذتها أيضا جمال الحسيني الذي كان مدرسا للغة الانكليزية والذي كان يقضي معظم الحصة في الحديث عــن المؤتمرات الوطنية والحزبية . ومن أساتذتها العظام الاستاذ رفيق التميمي أستاذ التاريخ والجغرافيا وهو خريج جامعة السربون في هذه المادة . وأما فحــل الاساتذة والمدرسين في آخر سنة في الكلية الاسلامية هو المهندس الكبير بل هو كبير مهندسي سوريا الاستاذ شكري خليفة . وأستاذ اللغــة والادب العربي الاديب الاستاذ عادل جبر . وأساتذة الطبيعيات الدكتور حسام أبو السعود والاستاذ عبد الحليم بدران .

وأما ضابط الداخلية ، لان المدرسة كانت داخلية فهــو الاستاذ عبد الله وفا الدجاني ، وكان خطاطا بارعا . وغير هؤلاء أساتذة لــم يداوموا فترات طويلة . وقد انتقل جميع هؤلاء الى رحمة الله . غفر الله لهم وأسكنهم فسيح جناته .

ولما تخرج أول فوج منهم وكان منهم محمد راغب الحسيني ولــم يوظفهم المجلس الاسلامي قضاة كما وعدهم ، هاموا يبحثون لهم عــن عمل ، وبذلك خف الالتحاق بالكلية الاسلامية لانه لا مستقبل لخريجيها . غير أن هؤلاء الخريجين كانوا الجذوة المتقدة الذين يشعلونها نارا في وجه الاستعمار والصهيونية اينما حلوا في فلسطين وخارجها ببرهان ساطع وبلاغــــة قرآنيـــة .

ولو أن الله أطال في عمرها لملأت البلاد طولا وعرضا من الابطال الصناديد الذين أرضعتهم الكلية الاسلامية الثورة على الاستعمار والتمرد على الظلم وتخرج منها رجال ابدعوا في مجال الشعر والادب مثل محمد علي الصالح . وفي مجال التربية والتعليم مثل أحمد عمر الدويك . وفي مجال السياسة مثل رشاد الخطيب وقــد احسنوا في كل عمل أوكـل بهــم .

# المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بالقدس



## شهادة
## الكلية الإسلامية

القسم الثانوي

| التوحيد والسيرة النبوية | التفسير والفقه | اللغة العربية وآدابها |
|---|---|---|
| ١٦ | ١٥ | ١٧ |
| **التاريخ الإسلامي والعام** | **الجغرافيا** | **العلوم الرياضية** |
| ١٥ | ٨ | ١٠ |
| **العلوم الطبيعية** | **اللغة الإنكليزية** | **السيرة والخلق** |
| ٢٠ | ١٢ | ١٦ |

المجموع

١٢٤

مائة وأربع وعشرون

أدى التلميذ السيد عمر بن السيد عبد الرحمن غسان [illegible] الفحص في الدروس المقررة ونال النمر المحررة أعلاه.

ومجموعها مائة وأربع وعشرون درجة أعلى وقد أعطيت له هذه الشهادة

تحريراً في [illegible] سنة ١٣٤٦ [illegible] ١٩٢٧

مدير الكلية

غير أن حظ المؤلف كان فيها قليل فقد دخل فيها من السنة الثانية الثانوية رأسا الى الصف الرابع الثانوي لعدم وجود صف ثالث ثانوي في الكلية الاسلامية .

وفي سنة ١٩٢٧ أمرت الحكومة الاستعمارية في فلسطين باغلاقها لانها تتدخل في الامور السياسية وتشترك في المظاهرات في كل المناسبات الوطنيـــة .

رحم الله الكلية الاسلامية فقد كانت ملاذ الاحرار العرب والمسلمين ينفثون في طلابها الاباء والشمم والجرأة .

## الخطـاب يلتحـق بالثـــورة السوريـــة

قال الخطاب : ان الكلية الاسلامية كانت مدرسة لتلقين المبادىء الوطنية وتأجيج نار الثورة في الصدور على الاستعمار والمستعمرين وكان كلما مر ثائر من سورية أو قائد لا بد وأن يمر بالكلية الاسلامية ليحدثنا من أعمال الثوار وفظائع الفرنسيين وكنا نتغنى بكل قصيدة ينظمها شاعر في تمجيد الثورة كقصيدة شوقي :

**سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق**

وقصيدة للشاعر القروي رشيد الخوري يخاطب سلطان باشا الاطرش

**فخر الجند فوق التنك صرعى وخـــر التنك تحتهم صريعـــا**
**فتى الهيجـــاء لا تعتب علينا واحسن عذرنا تحسن صنيعا**
**تمرستم بهـــا ايـــام كنـــا نمارس في سلاسلنا الخضوعا**
**فأوقدتم لهـــا جثثا وهامـــا واوقدنا المباخر والشموعـــا**
**اذا حاولت رفع الضيم فاضرب بسيف محمد واهجر يسوعا**

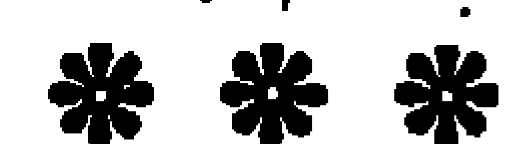
وكقصيدة مصطفى الغلاييني يخاطب القائد الفرنسي :

**اصابـــك المســـ اذ يممـــت ساحتنـــا**
**فبـــات راسك يرجـــو مـــن يداويـــه**

فـــــان اردت دواء تستطــــب بــــــه
فسيـف سلطــان فـــي الهيجــاء يشفيــه

فاحمــل متاعـــك وارحــل عـــن منازلنــا
فصاحــب البيــت أولــى بالـــذي فيـــه

قال الخطاب : « لقد تركت تلك القصائد والخطب أثرها في نفسي ، فقلت : فماذا يقعدني واخواني يموتون في سوريا ؟ وعلى ذلك تركت الكلية وحملت متاعي وتوجهت الى جبل الدروز معقل الثورة ولما وصلت الى جسر اللنبي وجدت البوليس ينتظرني حيث أخبر مدير المدرسة البوليس لارجاعي الى القدس فلما رجعت أقنعني المدير أن الثـورة السورية قد خبأت .



# الضائعة

كانت فتاة خجولة عاشت في بيئة محافظة ، حرموا عليها الالتفات يمنة أو يسرة أثناء ذهابها الى المدرسة . ولكن ما ذنبها هي اذا وهبها الله عينين دعجاوين وخدين أسيلين وشفتين كأكمام الورد المتفتح ، وجبينا وضاء ، وذؤابتين يتدليان على كتفيها كأنهما قلائد الذهب الاصفر، مع قامة ممشوقة ومشية خفرة كأنها بلقيس تخطو فوق صرح سليمان .

واذا كانت هي لا تلتفت الى أحد ، ولكن كل أحد تمر به لا بد وأن يلتفت اليها ، وكانت أينما سارت تحيط بها حدق العيون وتحاصرها النظرات فهي لذلك تحت رقابة العيون منذ أن تخرج من البيت الى أن تعود اليه .

و ضاق والدها ذرعا من فضول عيون الناس ولم يجد طريقة يحمي بها ابنته من هذا الفضول الا أن ينهي دراستها بعد انتهاء الدورة

الابتدائية ويلزمها القعود في البيت ، حتى يتخلص من الغيرة التي كانت تفري كبده من نظرات المعجبين بغزاله السارح .

واذا استطاع أن يحبسها ويحميها من حدق العيون فقد عجز أن يحميها من وساوس الظنون .

ونادى المنادي في الخليل انه غدا يبدأ موسم النبي موسى . وتهيأ الناس في المدينة والقرى المجاورة لهذا اليوم العظيم ، وحملت الاعلام ودقت الطبول ، وسارت مواكب الجموع ، كأنها أمواج البحر الهادر : هذا علم الخليل ينزل من باب الحرم الابراهيمي الشريف يتقدمه العلماء والوجهاء والقادة ، يتبعه رجال الانشاد الديني ، وخلفهم فرق الكشافة بملابسهم الزاهية وموسيقاهم العذبة تنشد على انغام الموسيقى :

**نحن جند الله شبان البلاد   نكره الذل ونابى الاضطهاد**

ومن خلف هؤلاء أبطال أشداء طوال القامات عراض المناكب ، ضخام الشوارب ، شعورهم غزيرة تتدلى على أكتافهم ، وطؤهم على الارض شديد وعلى راسهم عبد اللطيف ابو الشعر صوتهم كهزيم الرعد ينشـــدون :

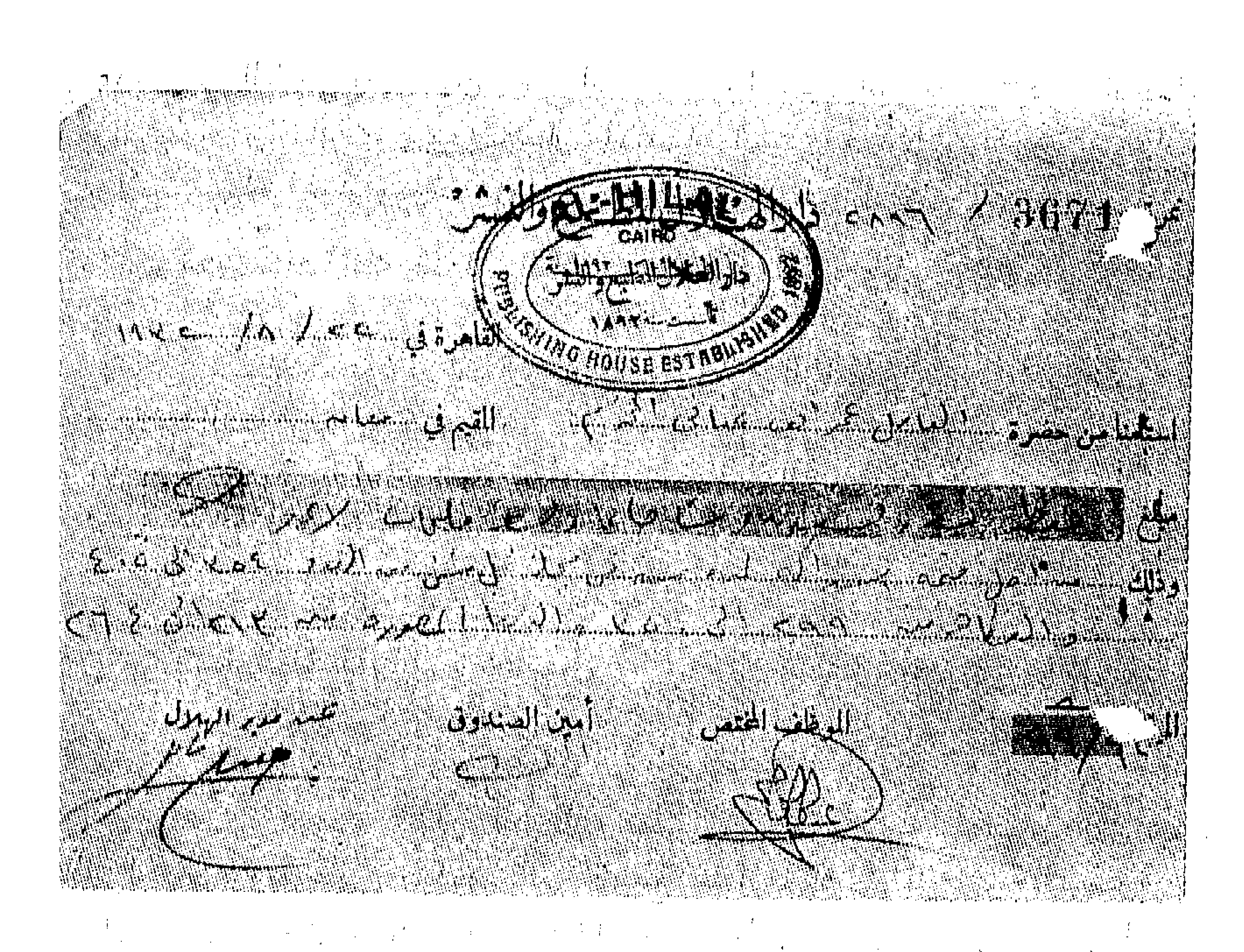
**سرنـــا توكلنـــا عليـــك   يـــا خـــير المتوكلـــين**
**يـــا عمنا يا ابـــو خليـــل   سيفك مجوهر طويـــل**
**صهيوني خـــذ ربعك وسير   هـــذي البـــلاد بلادنـــا**

ويتبـــع هؤلاء فتيان الدبكات يسيرون في حلقات يلبسون الملابس الزاهية ، ويلوحون بأيديهم التي ترفع فيها المناديل المزركشة المعطرة ، على دائرة خرز ملون فهناك حلقة تسير على أنغام البرغول والمزمار ، واخرى تسير على صوت الشبابة يتبادلون الاهازيج .

وتشترك في هذه الفرق جميع فرق الشباب من القرى والبادية . يتبادلون الاناشيد والاهازيج والمقطوعات ، وعلى جوانب الطرق وعلى اسطـــح المنازل وفي النوافذ والبرندات اكداس مكدسة مـــن البشر يستعرضون هذه المواكب ، المتدافقة المتلاحقة .

وكانت الحكومة البريطانية لايشغلها طيلة مدة انتدابها على فلسطين شيء أكثر من موسم النبي موسى .

ولذلك فقد كانت تجلب خلال أيام الموسم جميع أفراد الشرطة من سائر أنحاء فلسطين وتكدسهم في القدس فرسانا ومشاة ، راكبي دراجات وسيارات تحيط هذه المواكب لئلا يفلت النظام وتجري المذابح وتسيل الدماء أنهارا .



3671

CAIRO

PUBLISHING HOUSE ESTABLISHED

القاهرة في

استلمنا من حضرة

المقيم في

مبلغ

وذلك

الموظف المختص

أمين الصندوق

**حتى والخطاب في الصحراء المقطوعة عن العالم كان يشترك في كل المجلات والجرائد التي تصدر في البلاد العربية في ذلك الوقت**

وموسم النبي موسى هو الوقت الذي ينطلق الناس فيه بلا قيود ولا شروط ولا تحفظات من جميع الانواع والاجناس والملل ، شابات وشبابا ، شيبا وولدانا .

ورأت البنت الضائعة الحبيسة أن موسم النبي موسى هو الفرصة الذهبية التي تتيح لها الخروج من سجنها ، لترى الدنيا على حقيقتها ، وترى الناس في واقع الحياة .

لماذا هي الوحيدة من بين الناس حبيسة اربع جدران ؟ هل كانت امها مثلها حبيسة ؟ لماذا هي من بين جميع البنات حبيسة هكذا ؟

انها حبيسة تجمد عقل ابيها .

أهي التي خلقت نفسها جميلة حتى تلفت نظر الناس اليها ؟

انها حبيسة جمالها . ليتها خلقت دميمة حتى تكون ناسا من الناس تعيش كما يعيشون ، تتمتع بحرية مشاعرها ، وتتحكم كما تشاء في عواطفها . الناس جميعا يغدون ويروحون كما يشاءون الا هي فخطاها مقيدة وانفاسها محبوسة ، وفمها مكمم عن الكلام .

اما لهذا الليل من آخر ؟

واخيرا قررت الخروج عن الطاعة ، والثورة على الجمود ، والتحرر من السجن والعبودية .

جلست في النافذة المشرفة على الطريق العام وظلت تستعرض المارة شهورا واياما الى أن وقع من نفسها شاب كان يغدو في الصباح ويروح في المساء . وكانت لا تعرف من هو ، وهو لا يعرف من هي . وكتبت رسالة صغيرة : حبيبي ، انني أحبك وأنا لا أعرف من انت وكل الذي اعرفه عنك أنني راقبتك من النافذة ، فاذا كنت تبادلني الحب فالقني في موسم النبي موسى في موقع كذا في يوم كذا . فموسم النبي موسى هو الفرصة الوحيدة المتاحة لي لان أخرج من سجني . فاذا كنت تقبل حبي فاومىء لي بالموافقة واذا كنت لا توافق فاستر علي واحفظ سري لان في افشاء سري سفك لدمي . واذا كنت ترفض حبي فالذي ارجوه منك ان تغير دربك ومسيرك حتى لا تظل تشغلني الشاغل وحبي

واملي الضائع وهذه والله اول مـــرة اخاطب فيها شابا لا مشافهة ولا مكاتبـــة .

## المحبة الضائعة

كتبت الرسالة وابقتها في صدرها شهرا وهي بين اقدام واحجام وهي في خلال هذه المدة تراقب الحبيب الغافل بينما تصطرع في جوفها الهواجس والاوهام عما يخبئه المستقبل لها .

وباتت ليلة بطولها ساهرة تشجع نفسها على القاء الرسالة للحبيب وليفعل الله بها بعد ذلك ما يشاء .

وجاءت بحجر صغير مستطيل ولفت الرسالة على الحجر وربطته ربطا مكينا وانتظرت حتى اقبل الحبيب يسير منفردا وقد طأطأ رأسه الى الارض فتنحنحت مما لفت نظره فالتفت نحو الصوت فألقت اليـــه بالرسالة ، فحملها وفتحها وقرأها .

جويعد بن جربوع الفقير المدقع الفقر ، التافه الذي يعيش علـــى هامش الحياة نسيا منسيا يحظى بحب أجمل فتاة ، وأعلاها حسبا ونسبا ، الجوهرة المكنونة التي بنظرة من نظراتها تقيد اسد العرين ، وتفتك بقلوب المحبين الهائمين .

احلم هذا أم حقيقة ؟ أهو في وهم وخيال أم هو في واقع ؟!

وبعد أن قرأ الرسالة عاد من فوره ليعطي الرد بالايجاب ولكنه وجد الغزال قد ترك كنسه واختفى خلف ستره .

بات جويعد الليل بطوله يكتب الرسائل ويمزقها ، هذا قول يرضيها، وهذا قول لا يرضيها . ولم يجد في نهاية الامر الا جملة واحدة ( وافقت على لقائك في المكان والزمان اللذين عينتهما ) ، ولف رسالته كما لفت رسالتها على نفس الحجر وبنفس الخيط .

وقبل أن تبزغ الشمس مر بالشارع وعيناه مصوبتان للنافذة ولكنه لم يجد احدا فظل يذرع الشارع ذهابا وايابا ساعة من الزمان حتى

اطل القمـــر من عليائه فألقى بحجره فتلقفته كأنه وحـــي من السماء هبـــط عليهـــا .

وفي اليوم المعين اشترى جويعد حلة جديدة ومنديلا مزركشا وعلى دائره الخرز وعمل لواحا لفرقة من فرق الدبكة وسار في موكب مـــن مواكب النبي موسى الهادرة حتى وصل الى محاذاة الغزال الراني اليه وأنشد لها والحلقة ترد عليه :

**يـــا زريف الطـــول     واللـــه انـــك زريـــف**
**يـــا زريف الطـــول     أبـــو الخـــد النظيـــف**

وكان هو ينشد والحلقة ترد عليه .

وفجأة سمع صوت الحبيبة بين الفتيات الجالسات يضربن بالطبل ويرددن عليه :

**يـــا زريـــف الطـــول     ويـــن راح تـــروح**
**جـــرجـــت قلبـــي     وغمقـــت الجـــروح**
**انا خايف يا ولفي تروح وتسلاني     تهوى الغير او تنساني انا**

وتسمر جويعد في مكانت ينشد لحبيبته وهي ترد عليه :

**مسيك بالخير يـــا اللي     مـــا حـــدا مسـاك**
**وانـــت علـــى العهـــد     والا حـــدا قســـاك**

وكانت الحلقة ترد عليه في هستيرية وجنون ، وردت الحبيبة :

**مسيـــك بـــالخيـــر     مسى زيـــق طربوشـــك**
**يـــا اللي الحرير شوكك     واشحـــال ملبوســـك**

وسارت الجموع الهادرة بطبولها وزغاريدها حتى وصلت ظاهـــر المدينة . وتقدم مفتي المدينة وأمر حاملي السيوف لحماية العلم وأمرهم بطوي الاعلام ثم ركب القادة والمشايخ في سيارات معدة حتى وصلوا

الى ظاهر القدس في موضع البقعة وهناك نصبت لهم الخيام وعلقت القدور وأكلوا وشربوا وناموا . وظلت الطريق تغص بالقادمين من الخليل الى القدس كالجراد الزاحف بعضهم في سيارات والبعض الاخر على دواب والاغلب مشيا على الاقدام . فما تغرب الشمس الا والقدس قد عبئت بالناس نيام على أرصفة الشوارع وفي المغر والكهوف وفي المساجد والبيوت .



**أحد مناظر موكب النبي موسى في الحرم الشريف في القدس**

وما تكاد الشمس تبزغ حتى يتقاطر الناس الى البقعة لملاقاة العلم ( بيرق النبي موسى ) ويبدأون في تنظيم الموكب حيث يصطف الناس فيقف أولا حملة العلم والى جانبهم حماة العلم من الابطال الاشداء وهم يحملون سيوفا مشرعة لحماية العلم يتقدمهم رجال الدين فالزعماء وبعد

العلم يأتي المنشدون من رجال الدين والطرق الصوفية ثم اجنحة العلم من الرجال الابطال الاشداء بادئين نشيدهم :

**واحنا النشامة دوبنا لفينــا في صخرة الله والحرم صلينا**

وتبدأ المسيرة من قرب محطة سكة الحديد الى صلاة العصر حيث يدخل العلم المسجد الاقصى فيطوى وينام الناس الى الصباح .

وفي الصباح تخرج من باب الانسباط علم نابلس والى جانبه فـي الوسط علم القدس وعلى الجانب الاخر علم الخليل . وكثيرا ما كانت تحدث مشادات ومشاجرات على أي الاعلام يتقدم .

وفي باب الاسباط ركب الحاج أمين فرسا بيضاء وخلفه رجال القدس ثم يتبعهم رجال الاعلام من الخليل ونابلس .

وهنا يتبارى الخطباء والشعراء والادباء في هذا اليوم المشهود ، واصوات الاهازيج والزغاريد والهتافات :

**حج امين عزك دام حج امين يا مفتينا ، يا اللي بسيفك حامينا**

وفي هذا الزحام الشديد وعلى ربوة في باب الاسباط برزمن من بين تلامذة الكلية الاسلامية الخطاب الذي أصبح شابا طالبا في الكليـة الاسلامية وألقى هذه القصيدة التي هزت مشاعر الناس وظلت الجموع تصفق ثم نـزل الخطاب يقود طـلاب المدارس وهو ينشد والطلاب يـردون عليـــه :

**على اليرموك قف واقرا السلاما وكلمــه اذا فهـــم الكلامــا**
**وقل يا نهر هل هاجتك ذكرى شجت قلبي وحركت الغرامــا**
**هنا الاسلام ضاء لــه حسام غداة استل خالده الحسامــا**
**وهب ابــو عبيدة مثل ليــث يقــود وراءه الموت الزؤامــا**
**وسار على روابي الشام يخطو تخــر له الربى هاماً فهامــا**

ووقف طلاب الكلية الاسلامية يتناوبون المنبر ينددون بوعد بلفور ، وبالاستعمار البريطاني .

وسار الموكب حتى وصل الى رأس العامود وبعد الظهر لفت الاعلام وتوجه المحتفلون بالموسم نحو مقام النبي موسى في منتصف الطريق

بين القدس وأريحا . وعندهـــا انقضت الشرطة على طـــلاب الكلية الاسلامية وساقوهم الى سجن القشلة فجاء مدير الكلية رفيق التميمي واخـــرج المحتجزين .

## فـــي موقـــع النبـــي موســـى

سارت قوافل الزائرين من الخليل ونابلس والقدس زاحفة كالجراد وحطت في رحاب النبي موسى فملأت البطون والاودية والشعاب وهم يكبرون الله أكبر الله أكبر وكأنهم على جبل عرفات . وكانت الشعاب والاودية لهذا الصوت المجلجل تتجاوب فيها الاصداء فتزلزل التلال والجبال . وكان حماس الناس دافقا . رحم الله صلاح الدين الذي أمر باقامة هذه المواسم في أنحاء كثيرة من فلسطين في النبي موسى وفي النبي صالح وفي النبي شعيب . مع أنه لا موسى ولا صالح ولا شعيب في هذه المواقع ولكنها تجمعات تحرك الهمم ، وتبعث الشمم اختارها سيدنا صلاح الدين في أوقات متفاوتة متقاربة على جذوة الحماس دائما وابدا متقدة مشتعلة يرهبون بها عدو الله ورسوله . ومنذ منعت اقامة هذه المواسم تراخت همم الشباب وانطفأت نار الحماس .

وتجمع الناس في حلقات وقدور اللحم والرز تهدر لاطعام هذا الحجيج وأناس آخرون يذبحون النذور ويوزعون اللحوم وغيرهم يقيم الولائم لأحبائه ومريديه وكأنـــك أمام جيش لجب ينضج عشاءه .

وبعد العشاء توزع الناس في حلقات كل يغني على ليلاه . فهذه حلقة الدراويش وقد اصطفوا في هستيرية ينشدون البردة :

**مولاي صل وسلم دائما أبدا ‏ ‏ ‏ ‏ على حبيبك خير الخلق كلهم**

وتظل ترتفع أصوات النشيد والدعاء حتى تصل الى عنان السماء . وبعد نشيد البردة يقرأون دعاء اللطيف :

**يا لطيف الطف بنا يا لطيف ‏ ‏ ‏ ‏ يا لطيف اجعل البلا خفيف**

وبعد ساعتين من هذا الدعاء يخشبون أي يصبحون كالاخشاب وتصبح لفظـــة يا لطيــف هي اللفظة الوحيدة التي يرددونها حتى يتساقطوا كالخشب الساقطة .

لقد نزلت الضائعة مع أهلها في ناحية من نواحي الارض المحيطة بالنبي موسى وجمعت لها سربا من رفيقاتها ومعهن الدف وبحثت عن الحلقة التي كان يدبك فيها جويعد وتبادلت مع صديقاتها الاهازيج التي كان يرددها المحبوب جويعد .

**بشوف الزين قاعد باب طابون بقطب جروحه مـــا يطيبون**
**مسعد يـــا زبل من فوق طابون عمن الزين مصباحك مساك**

وردت عليـــه الضائعـــة :

**غزيـــل علـــى التينـــه واشبعمل على التينـــه**
**بعبـــي فـــي المرتينـــة واصيـــد هـــا الارنبـــه**

ورد عليهـــا جويعـــــد :

**يطولك طول عود الزان لا مال يشعرك عذب الجدال لا مال**
**يبوك لا قبـــل فظة ولا مـــال كيفالراي عندك وردود الجوابا**

وكان الجواب والراي عندها ان تسللت من بين رفيقاتها وأشارت له أن اتبعني فتبعها حتى صارا بعيدا عن أعين الرقباء واختفيا بعيدا فـــي الظـــلام .

قربت منه وهمست في أذنه وقالت : أتعرف ما معنى هذا ؟
ولاول مرة تلفح وجهه أنفاس فتاة شفها الحب واشتعلت نار الخوف والهلع في فؤادها ، وشعر بنسائم الجنة تغمر وجهه . وقال بلا وعي ولا تردد : أعرف .

أجابته : ومـــاذا تعـــرف ؟
قال : أعرف أن خلف هذا الموت .

قالت : وهـل تعاهدني على الموت ؟

قال جويعد : أينا يعاهد الاخر على الموت ؟ ان همستك هذه في أذني تساوي حياتي . فكيف بك كلك ؟! انت تساويني وتساوي أمـي وابي وتساوي عائلتي وتساوي قبيلتي .

قالـت : اذن فاتبعنـي .

قـال : أيـن أتبعـك ؟

قالـت : نبتعـد عـن الناس .

قـال : وهل تعرفين المسالك والدروب ؟

قالـت : وكيف أعرفها وانا لاول يوم أفارق خدري ؟!

قـال : والى أين اذن نسير اذا كنت تجهلين الطريق ؟

قالت : ما أشقاني بـك ، اذا كنا نعرف الطريق فلماذا نتعاهد علـى المـوت ؟

قال جويعد : لا أدري ماذا تعنين بقولك !

قالت : ألم نتعاهد على الموت ؟

قال : بلـى

قالت : اذن فاتبعني فأنا أعرف طريق الموت .

فسارت الفتاة امامه وسار خلفها وظلا سائرين حتى أدركهما الفجر بالقرب من سواحل البحر الميت وهناك لجئا الـى مغارة واختفيا فيها طول النهار وهما لا يحملان زادا ولا مؤونة . وعضه الجوع فقال لها : ماذا نأكل ؟ قالت له : ألم نتعاهد على الموت ؟ قال لها : بلى . قالت : لنأكـل المـوت .

وبعد ثلاثة أيام عضهما الجوع ولم يعودا يستطيعان حراكا . فقال لها جويعد : أرى أن هذا انتحار وليس موتا .

قالت : الا ترى أن الموت بقرب الحبيب نعمة المحبين ؟

قال جويعد : فما يمنع المحبين أن يستمتعوا بحبهم مع الحياة ، وليس مـع الموت ؟!

قالت : ان استطاعوا ذلك .

قال : نستطيع ذلك .

قالت : وكيــف ؟

قال جويعد : نزحف وفينا رمق من الحياة حتى نصل الى أريحا فتبيعين اسورتك الذهبية وتشتري بها طعاما ونعود الى كهف آخر قريب حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

وزحفا تحت جنح الظلام نحو اريحا فباعت اسورتها الذهبية واشترت به طعاما وعادا الى كهف آخر قريب وظلا يقسطان الطعام حتى نفذ بعد اسبوع . فقال لها : والان ، ماذا سنفعل بعد أن نفذ الطعام ؟

قالت : نموت . قال لها : لم تستعجلين الموت وقد تتاح لنا الحياة ؟

قالت : اخترت السلامة لك واخترت الموت لي .

قال : وكيف يكون ذلك ؟

قالت : عندما تقبض علينا الشرطة ، فسبطلق سراحك فتتحلل من قسمك وتعيش . أما انا فسيقبض علي فأسلم لأبي ويكون جزائي الموت .. والموت لي وحدي .

قال جويعد : لا تخافي يا حبيبتي فسنقطع النهر منفردين . أقطع النهر أنا أولا الى شرقي الاردن ثم تتبعينني ، ونلتقي هناك ونعيش بأمــان .

قالت : لا يستطيع أحد ان يمر النهر من غير وثيقة وأنت بعملك هذا تستعجل موتي وتستبقي حياتك .

قال : كلا يا حبيبتي سنحتال على الشرطة ونقول لهم أضعنا وثائقنا

قالت : مثلك من يستطيع التحايل على الشرطة !

قال : فماذا نفعل ؟

قالت : نظل نتنقل في بلاد فلسطين ونعمل في الحقول وهذا لا يلفت نظر أحــد الينا .

قال جويعد : انا لا استطيع البقاء في فلسطين لان أهلك سيتعقبوننا ويقتلوننا ولكن في شرقي الاردن سنحتمي عند شيخ قبيلة فيحمينا .

قالت : بل قل انك تريد أن تسلمنا للشرطة وتنجو بنفسك وتلقي بي الى التهلكة . وما دمت سأموت على كل حال فأنا أفضل الانتحار على القتل بعد التعذيب .

قال جويعد : لا وحبنا الغالي لن أتخلى عنك وقد عاهدتك على الموت وسأقتل نفسي قبل أن تقتلي .

وقادها الى الجسر وكانت الشرطة بانتظارهما ، فقبضت عليهما وأعادتهما الى بلدهما .
اما جويعد فقد نجا من كل عقاب ففي قانون العرف والعادة حمالة خلقها والتي تجري خلف الرجال فلا حق لها بموجب هذا القانون الا ملء ثوبها تبنا .

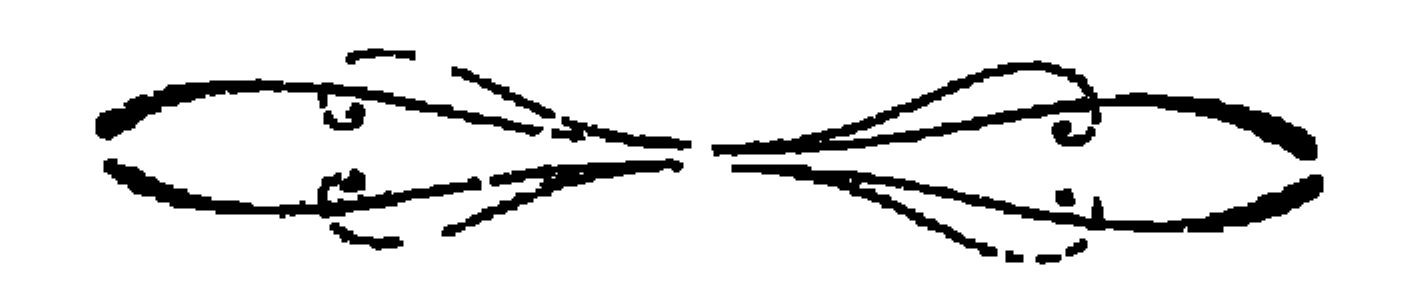
وبموجب القانون النظامي فهي وقد بلغت الرشد حرة في أن تعمل بنفسها ما تشاء وتسلم نفسها لمن تشاء ولا طائلة للقانون لا عليه ولا عليها .

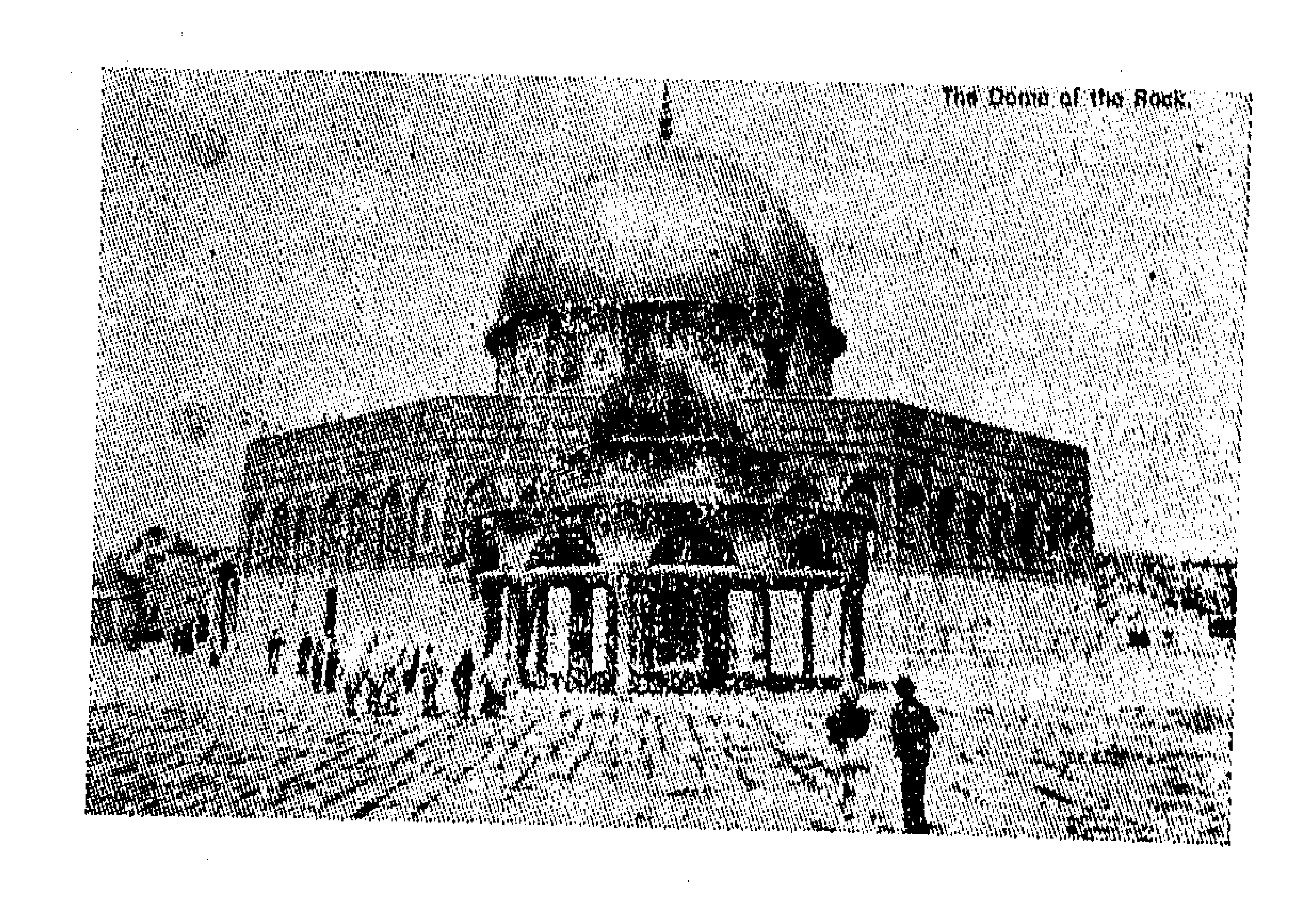
وانطلق جويعد يتعثر في دروب الحياة يشبع يوما ويجوع يومين .

وأما الضائعة فقد ألقي بها في غرفة مظلمة لا ترى النور ولا النور يراها يلقى لها من الطعام والشراب ما يقوم بأودها الى أن اصبحت شبحا تطلب الموت والموت ينفر منها تصوم النهار وتقوم الليل وقد كتبت على حائط الغرفة : ياأيها الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، كل ذلك كان سببه تجمد العقلية الرجعية والضغط والتزمت الشديدين . هذه العوامل جميعها تدفع الى العصيان والتمرد وتودي بأصحابها الى الحسرة والندم وأن الدين ليحارب التعصب الاعمى ولذلك فقد جعل الاختيار للفتاة . فعقد الزواج هو ايجاب من البنت بألفاظ النكاح الصريحة تقول البنت وهي تعرض نفسها على الزوج فتقول : « زوجتك وانكحتك نفسي » ولم يجعل لأي أحد غيرها سبيلا في ذلك الا بالمعروف والخيار للزوج فهو حر في أن يقبل انكاحها وزواجها أو يرفضـه .

ولو اتبعنا منهج الدين الحنيف لأغنانا ذلك عن كثير من المشاكل ولكن رجوع من يروا أنفسهم أعلى من الناس بالمال والجاه والعصبية والادعاء الفارغ بأنهم جبابرة لا تخرج بناتهم عن طاعتهم يزوجونهن ممن يريدون ويمنعوهن عمن يردنه فهذا سلب لحقوقهن التي وهبها اللـــه اياهـــن .

ومثل قصة الضائعة عبرة لمن يعتبر .






هكـــذا حكـــم المسلمون فـــي الكنيس اليهودي

وهكذا يحكم اليهود في مساجـــد المسلمين

**● السلطان قايتباي يأمر باعادة بناء كنيس يهودي بعـد هدمه وعاقـب الذين هدمـوه**

**● اسرائيـل تبيــح اليـوم الاعتــداء علـى حرمــات المسلمـين ومقدساتهـم**

**● فهي تستولي على معظم الحـرم الابراهيمي في الخليل وتحـرق المسجد الاقصى وتقيم مذبحــة فــي قبــة الصخرة المشرفـة**

كانت محكمة الصلح في القدس قد أصدرت ، في الايام القليلة الماضية قرارا برأت بموجبه ساحة عدد من اليهود الذين أباحوا لانفسهم الصلاة في المسجد الاقصى المبارك .

وأنا انشر هذه القصة التي وقعت احداثها في القدس قبل حوالي خمسة قرون من الزمان ، ويتجلى فيها الموقف السمح الـذي وقفه السلطان المسلم قايتباي ، عندما هدم كنيس يهودي ، فبادر السلطان الى معاقبة الفاعلين وأعاد بناء الكنيس ، رادا بذلك الى اليهود حقهم فـي كنيسهم .

... لعل هذه القصة تبرز الفرق الشاسع بين موقف الحكومة الاسرائيلية التي اباحت الاستيلاء على جانب من الحرم الابراهيمي في الخليل • وموقف الحكام المسلمين في كل العصور والدهور من حق اليهود في معابدهم :

في سنة ٨٧٨ هجرية كان في حارة اليهود بالقدس مسجد للمسلمين وكان ملاصقا له من الجهة القبلية بيت لليهود اتخذوه كنيسا لهم وكانت الطريق الى باب المسجد شاقة وبعيدة ، لان بيوت اليهود محيطة بالمسجد وصادف في ذلك العام أن نزل مطر غزير سقط منه البيت اليهودي الملاصق للمسجد ، وعند سقوطه تبين ان في اقصاه بابا للمسجد انفتح لما سقط البيت ، وان هذا الباب الجديد يقرب ثلاثة ارباع الطريق الى المسجد .

واراد اليهود اعادة بناء البيت الذي سقط ، فمنعهم المسلمون لان اعادة البناء تغلق باب المسجد الاصلي ، وان هذا البناء هو من ضمن وقف المسجد .

واعترض اليهود على ذلك ، وتقدموا للقضاة المسلمين بدعوى لاثبات حقهم في الدار وفي اعادة بنائها .

وتشكلت المحكمة من القاضي شهاب الدين بن عبية الشافعي والقاضي خير الدين بن عمران الحنفي والقاضي كمال الدين النابلسي الحنبلي . وعقدوا الجلسة في نفس الجامع ، وتقدم المهندسون بخريطة مفصلة للموقع وعقدت الجلسة في شهر رجب من سنة ٨٧٨هـ .

وطلبت البينة من اليهود ، فتقدموا بحجة وقفية تثبت أن هذا البيت من جملة اوقاف اليهود ، فحكمت المحكمة المذكورة لليهود بحقهم في البيت المدعى بأنه كنيس .

ولم يرض المسلمون في القدس بهذا الحكم واستانفوه الى السلطان

في القاهرة ، بدعوى ان هذا الكنيس محدث وأن حجة الوقف صدرت قبـل بنائـه .

## مرســوم السلطــان

أرسل السلطان مرسوما الى ناظر الحرمين ناصر الدين النشاشيبي بإعادة المحاكمة مرة ثانية . وتشكلت المحكمة كما أمر الخليفة في شهر رمضان من سنة ٨٧٨هـ في المدرسة التنكزية بالقدس من القضاة :

١ ـ القاضي شهاب الدين بن عبية الشافعي .
٢ ـ القاضي خير الدين بن عمران الحنفي .
٣ ـ شيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة .
٤ ـ الشيخ برهان الدين الانصاري .
٥ ـ الشيخ شهاب الدين العميري .

وتقدم عن المسلمين شهود شهدوا بأن الكنيس محدث وليس داخلا في وقف اليهود .

ودافع عن حق اليهود كبيرهم واسمه يعقوب .

وبعد الانتهاء من المرافعة قررت المحكمة بالاغلبية أن هذا الكنيس محدث في ديار الاسلام ، وأنه لا حق لهم باقامته وأقر الحكم قاضي الشافعية وخالفه قاضي الحنفية .

ونهض بعد صدور القرار كبير اليهود يعقوب معاندا ومعترضا على حكم القاضي وعصيانه ، فنهره القاضي الشافعي وصاح به : « تنازع وتعارض في الاحكام الشرعية ؟! » وهم المسلمون بأن يبطشوا باليهود ، فصاح بهم القاضي : « يا أمة التوحيد لا يعارضهم أحد ، فان هؤلاء في ذمة الله وذمة رسوله وذمة أمير المؤمنين » ..

## استئناف اليهود على القرار

ذهب اليهود الى مصر يقودهم كبيرهم يعقوب ، واعترضوا على قرار المحكمة في القدس للسلطان ، فأمر السلطان بتشكيل محكمة عليا في القاهرة بالمدرسة الصالحية بين الصورين بعضوية كل من : قاضي القضاة ولي الدين الاسيوطي الشافعي وقاضي القضاة شمس الدين الامشاطي الحنفي وقاضي القضاة برهان الدين اللقاني المالكي وقاضي القضاة بدر الدين السعدي الحنبلي وغيرهم من كبار العلماء والمجتهدين المسلمين .

ثم فتح قرار محكمة القدس وتلي أمام جميع العلماء ليروا رأيهم فيه ، فكان رأي قاضي القضاة الشافعي والحنفي بأن قرار محكمة القدس الشرعية في منع اليهود عن كنيسهم ورفع يدهم ، عنه غير كاف ولا واف ، ووافقهم على ذلك ثلاثة من العلماء أما المالكي والحنبلي فقالا : « هذا أمر لا يهمنا بل هو مهمة الشافعي والحنبلي » ، وأعاد السلطان القرار الى ناظر الحرمين ناصر الدين النشاشيبي ونائب السلطان الامير جقمق لاعادة النظر في القضية مرة ثانية .

## اعادة النظر في القضية

تشكلت المحكمة ، هذه المرة ، في المسجد الاقصى لعدم وجود مكان يتسع لجموع المشاهدين الذين حضروا لمشاهدة هذه القضية الهامة التي اشغلت الرأي العام ، وبالنظر لاهمية القضية المنظورة اشترك نائب السلطان وناظر الحرمين ، أما هيئة المحكمة فكانت مؤلفة من القاضي شهاب الدين بن عبية الشافعي والقاضي خير الدين بن عمران الحنفي والشيخ برهان الدين الانصاري والشيخ أبو العزم الحلاوي وجمع من الفقهاء والعلماء .

وفتح القرار ، واعيدت المحاكمة ونودي على الشهود .

الشاهد الاول : الشيخ ابو العزم الحلاوي ، قال بعد القسم : اشهد ان هذا الكنيس محدث في دار الاسلام وانه ممن منع اليهود من اتخاذه كنيسا .

الشاهد الثاني : نودي على الشاهد الثاني وهو شمس الدين محمد بن ناصر الصبان فشهد بما شهده الشاهد الاول .

الشاهد الثالث : ناصر الدين محمد بن الدمشقي وشهد كما شهد سابقوه .

وشهد بمثل هذه الشهادة كل من : علي بن نصير البنا وخليل بن عليان وغيرهم .

## القــــرار

وتلا القرار شهاب الدين بن عبية الشافعي وهو : « انني اوافق على قرار محكمة مصر العليا بعدم رفع يد اليهود عن البناء ، ولكنني أقرر منعهم من اتخاذه كنيسا ويمكنهم استعماله بيتا وحانوتا .

## أمــر سلطانــي رقــم ٣
## بشــان الكنيس اليهودي

الى الامير ناصر الدين النشاشيبي ناظــر الحرمين الشريفين ، نرسم نحن السلطان قايتباي ما هو آت وعليكم بتنفيذه :

اولا : تمكين اليهود من كنيسهم .

ثانيا : عدم معارضتهم للقيام بطقوسهم الدينية على عادتهم .

حرر بالقاهرة في محرم سنة ٨٧٩ هجرية .

**« السلطان قايتباي »**

وقد نفذ الامر السلطاني وتمكن اليهود من الدخول الى كنيسهم وعمهم السرور والفرح وعلقوا به الستور وأوقدوا القناديل .

## أمــر سلطانــي رقــم ٤
## بشــان الكنيس اليهودي

الى ناظر الحرمين الشريفين ناصر الدين بن النشاشيبي والامير جقمق نائب السلطنة ...

لقد اتصل بمسامعنا الشريفة أن بعض الفقراء والعلماء بالقدس الشريف كتب كتابا الى القاهرة يدعون فيه أن كنيس اليهود بالقدس الشريف محدث ، وأن علمـــاء الاسلام أفتوا بعـــدم ابقائه وان أمرنا السلطاني بتمكين اليهود من كنيسهم والدخول اليه ناشىء عن رشوة دفعها اليهود للخزائن الشريفة .. لذلك نرسم ما هو آت :

أولا : التحقيق في هذه التهم الخطيرة .

ثانيا : ارسال القاضي الشافعي وشهود هذه القضية الى الابواب الشريفة لننظر في ذلك .

**« السلطان قايتباي »**

## جلســـة المحكمـــة رقـــم ٣

بناء على الامر السلطاني رقم ٤ عقدت جلسة المحكمة بتاريخ شهر ربيع الثاني من سنة ٨٧٩ هجرية بالقدس الشريف في المسطبة الكائنة عند باب المغاربة قرب شجرة الميس والمحكمة مؤلفة من :

١ ـــ ناظر الحرمين الشريفين ناصر الدين النشاشيبي .
٢ ـــ نائب السلطنة ابن جقمق .
٣ ـــ نجم الدين بن جماعة شيخ الصلاحية .
٤ ـــ الشيخ برهان الدين الانصاري .
٥ ـــ شهاب الدين بن عبية قاضي الشافعية .
٦ ـــ شمس الدين الديري قاضي الحنفية .
٧ ـــ الشيخ موسى الصامت شيخ الطرق الصوفية .
٨ ـــ جمع غفير من الفقهاء والعلماء .

تلي كتاب السلطان على الحضور ، وسئل الناس عمن لديه شهادة بما ورد في كتاب السلطان ، فلم يتقدم أحد بالادلاء بشهادته ، وعلى العكس أنكر الجميع علمهم بذلك أو الاعتراف بما فيه ، وكان كاتب الجلسة القاضي كمال الدين أبو البركات ، ونودي على الشاهد الشيخ نجم الدين بن جماعة فأقسم قائلا :

« أقسم بالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما كتبت ذلك ولا علمت من كتبه » .

ونودي على الشاهد الثاني القاضي شهاب الدين بن عبية فأقسم قائلا : « لو علمت بهذا القائل لعزرته تعزيرا ولاقعدت به من الدجالين خلقا كثيرا » .

وقررت المحكمة أن التهمة لم تثبت على أحد وختم القرار وارسل الى السلطان .

## أمــــر سلطانـــي رقـــم ٥

الـــى ناظرر الحرمين ناصر الدين النشاشيبي :

أولا : ارفض قرار المحكمة في الجلسة رقم « ٣ » .

ثانيا : أدعوك أنت والقاضي شهاب الدين بن عبية للمثول أمامنا فـــي القاهـــرة .

« السلطان قايتباي »

وامتثل الرجلان وتوجها الى القاهرة حسب أمر السلطان ، غير أنه لقيهما على الطريق قرب بئر العبد الشريف محمد عفيف الحسيني والشيخ أبو العزم الحلاوي ، وهذا الاخير هو الذي كان يزور الكتب والرسائل على لسان الفقراء والشيوخ في القدس .

وادعى الرجلان أن السلطان قد عدل عن استدعاء شيخ الحرمين والقاضي عبية وان السلطان قد أمرهما بتولي التحقيق مرة ثانية في القضية ، فعاد الرجلان معهما للقدس لاجراء التحقيق من جديد ، فاعيدت قضية الكنيس اليهودي مرة ثانية للمحكمة ولكنها ليست بأمر السلطان ولا بعلمه ، ولكنها تشكل هذه المرة بأمر السيد الشريف محمد بن عفيف الدين الحسيني .

## الجلســـة رقـــم ٤

عقدت الجلسة في يوم الاثنين الواقع في الرابع من شهر رجب سنة ٨٧٩ هجرية بالمدرسة التنكزية .

وقد تشكلت المحكمة برئاسة شيخ الاسلام كمال الدين بن أبي شريف ، وعضوية كل من :

١ ــ الشيخ برهان الدين الانصاري .

٢ ــ الامير جقمق نائب السلطنة .

٣ ــ قاضي الشافعية شهاب الدين بن عبية .

٤ ــ قاضي الحنفية شمس الدين الديري .

٥ ــ السيد الشريف محمد بن عفيف الحسيني .

ولم يتقدم شهود وطرحت القضية أمام القضاة للمداولة ،

شيخ الاسلام كمال الدين بن شريف يقول : « أرى انه لا وجه لمنع اليهود من كنيسهم بغير مسوغ شرعي »

الشيخ برهان الدين الانصاري الخليلي : « أرى أن يمنع اليهود لان الشهود شهدوا سابقا بأن الكنيس محدث » .

شيخ الاسلام : ان شهادة من شهد بحدوثها بغير مستند شرعي يستند اليه في شهادته لا تقبل شهادته .

الشيخ برهان : « ان شهادة الشهود في حدوث الكنيس اليهودي كاف لاثبات حدوثه كما ثبت ذلك في الجلسات السابقة ، ولذلك يجب منع اليهود عن الكنيس » .

شيخ الاسلام : « لا تبحث معـي بحث خليلي وبرهـن قولك بالاسانيد » ..

الشيخ شهاب الدين بن عبية : « أشهد أن الشيخ برهان الدين الانصاري قد حكم في جلستين سابقتين بمنع اليهود من إتخاذ البناء كنيسا ، وكتب محضر بذلك .

## هــدم الكنيس

وبعد ساعة من صدور قرار القاضي الانصاري ، توجه الشيخ محمد بن عفيف الدين الحسيني والشيخ ابو العزم ، وهما اللذان اختلقا على السلطان إمره ليهدما الكنيس . ..

وبعد صلاة العصر نادى أبو العزم الناس ليتوجهوا الى الكنيس ليهدموه فهدم الناس نصفه في أول يوم وهدم الباقي في اليوم الثاني .

## اليهود يشكــون الــــى السلطان ..!

تقدم اليهود بشكوى الى السلطان بشأن هدم كنيسهم ، فثــار السلطان غضبا ، وأصـــدر مرسوما سلطانيا رقم ٦ بشأن الكنيس اليهودي في القدس .

الى نائبنا في غزة الامير يشبك العلائلي ..

أرسم انا السلطان قايتباي ما هو آت :

لما بلغنا أن أبا العزم قد افتأت علينا وهدم الكنيس اليهودي في القدس بغير اذننا ولا علمنا ، لذلك نأمر في الحال بالقبض على الاشخاص الاتية أسماؤهم وتوجيههم الينا مكبلين بالحديد لانزال اشد العقوبة بهم :

الاشخاص المطلوب القبض عليهم هم :

١ ــ القاضي الشافعي شهاب الدين بن عبية .
٢ ــ الشيخ برهان الدين الانصاري الخليلي .
٣ ــ الشيخ شمس الدين بن ناصر الدين .
٤ ــ الشيخ أبو العزم .
٥ ــ الشيخ ناصر الدين الدمشقي الحوراني ، والشيخ ابن عليان والشيخ ابن نصير .
٦ ــ الشهود الذين شهدوا في القضية .

## مأســـــاة العلمــــاء

في أواخر شعبان من سنة ٨٧٩ هجرية حمل العلماء الى القاهرة كما أمر السلطان عدا أبي العزم الذي اختفى من وجة السلطان وفـــر الى مكة واختفى فيها .

أدخل المطلوبون على السلطان بخلوة في حوش فأمر بهم فضربوا ضربا مبرحا شديدا حتى فقدوا وعيهم ، عدا ثلاثة منهم الواردين في الرقم الخامس نظرا لتقدمهم في السن وعجزهم ومرضهم .

ثم بعد ذلك سلمهم للامير يشبك بن حيدر ليحجزهم ويسجنهم .

## مرســـوم سلطانــــي رقــــم ٧
## باعـــادة بناء الكنيس اليهودي في القـــدس

بناء على الالتماس الذي قدمه الينا يشبك الدوادار الكبير من حق اليهود في إعادة بناء كنيسهم في القدس نرسم ما هو آت :

١ ـ اعادة بناء الكنيس اليهودي في القدس بآلاته القديمة .
٢ ـ تعقد محكمة قضائية في القدس لاقرار امرنا .
٣ ـ يعين القاضي شهاب الدين أحمد الخزمي الشافعي والقاضي علاء الدين علي الميموني الحنفي وكلاهما من قضاة مصر لرئاسة المحكمة وقضاة القدس اعضاء محكمة .

**« السلطان قايتباي »**

## الجلسة رقم ٥

تشكلت هذه المحكمة بناء على المرسوم السلطاني رقم ٧ في اليوم العاشر من شهر ربيع الاخر سنة ٨٨٠ هجرية بقبة موسى بالقدس الشريف والمحكمة مؤلفة من القاضيين رئيسيين للمحكمة :

١ ـ شهاب الدين احمد الحزمي الشافعي .
٢ ـ القاضي الحنفي علاء الدين بن ميمون وعضوية قضاة القدس الاربعة وشهادة الشهود .

وقرر قضاة القدس الاربعة بأنهم لا يعارضون في بناء الكنيس اليهودي ، ولا يأذنون باقامته وهم يتركون الامر لقضاة مصر .

اما القاضي شهاب الدين بن جبيلات فقد ادعى المرض وعاد الى القاهرة قبل صدور الحكم .

وقد قرر القاضي علاء الدين بن ميمون الحنفي بأنه يأذن لليهود في اعادة بناء الكنيس اليهودي في القدس بآلاتها القديمة ، وأمضى القرار بخط يده ولم يمضه غيره[١٠] .

## تنفيذ القرار

بدىء بتنفيذ القرار بتاريخ ١١ ربيع الاخر سنة ٨٨٠ هجرية وظل القاضي الميموني في القدس يشرف على بناء الكنيس بنفسه حتى تم بناؤه اعلى مما كان بطول ذراع واحتفل اليهود بهذا الحدث السعيد ، وعمتهم الافراح ، ثم عاد القاضي الميموني الى القاهرة ، وكان الناس يلقبونه بقاضي الكنيس .

**ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح**
**وحللتم قتل الاسارى وطالما ... غدونا على الاسرى نمن ونصفح**
**فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... فكل اناء بالذي فيه ينضح**



# معركـــة الاقصـــى بتاريخ ١١/٤/١٩٨٢

## مـــن تحـــت الانقـــاضـــ

| | |
|---|---|
| سيروا سيروا يــا شهداء | يــا صرعى رصاص الجنـد |
| فاللـــه علينا قـــد فضلكم | يـــا سكان جنـــان الخلـد |

نحن شعب يثور ، لحق مهدور ، وظلم منشور يكتم علينا أنفاس الحيـــــاة .

الأم وطفلاها قتلى ، والبنت واختاها ثكلى ، والناس قطيع في ربيع ترديـــه وصاصات الذئاب الغادرة .

المسجد الاقصى أسير الاعداء ، ومنبره العالي تضمخه الدماء ، أرواحنا له الفداء من صاغر أو كابر .

الدماء في عروقنا تفور ، وأرواحنا تحوم فوق القبور ، لتنشر في سجل الخلود أمواج الرجال لنجدة الاقصى كالبحر الزاخـــر ، تتبعها أمواج الشباب كالرعد الهادر ، يتساقطون لحوما فوق لحوم .

الاطفال الصغار حول آبائهم يصرعون ، فوق أتون الموت يتهافتون ، ليبنوا حول الصخرة ، من جسومهم الصغيرة قلعـــة .

وأمهاتهم من فوق الاسوار ، تغذي الدماء بالاهازيج والاشعار ، عاشت فلسطين حـــرة عربية .

وقافلة من النعوش تتبعها قافلة ، ما لها اول وما لها آخـــر ، ارواحنا فدى لأرضك يا فلسطين الطاهرة .



# الخطأ والصواب

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٣ | ٤ | لمحزون | لمحزونون |
| ١٧ | ٨ | لـد | لقد |
| ٢١ | ٢٤،٢٥ | سطر ٢٥ مكان سطر ٢٤ | |
| ٣٤ | ٥ | اللذين | اللذان |
| ٤١ | ٢٣ | تشتر | تجتر |
| ٤٧ | ١٥ | سنتمتر | سنتمترا |
| ٥١ | ١٥ | ويال | ريال |
| ٥٥ | ٩٩ | ساطات | سلطات |
| ٥٧ | ١٩ | الاسلامية | الاسلامية المسيحية |
| ٨٣ | ٣ | واستقلبنا | واستقبلنا |
| ٩٩ | ١٣ | جرجت | جرحت |
| ٩٩ | ١٥ | مكانت | ما كان |
| ١٢٠ | ٨ | وصاصات | رصاصات |

# فهرس الكتاب


وفاء الزوجة المسلمة العربية القروية
الزوج مائة عـــام مقعد
الزوجة خمسون عامـــا
الاولاد عشرة
الام : تحصد ، وتطحن على الرحى
تجلب الماء على رأسها من العين
تعجن ، تحتطب على رأسها من الغابة
تخبز ، تقدم الطعام للزوج المقعد
بنفس راضية هانئة